لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

مهندس على الطريق 2

الشَّهيدُ الحَيّ

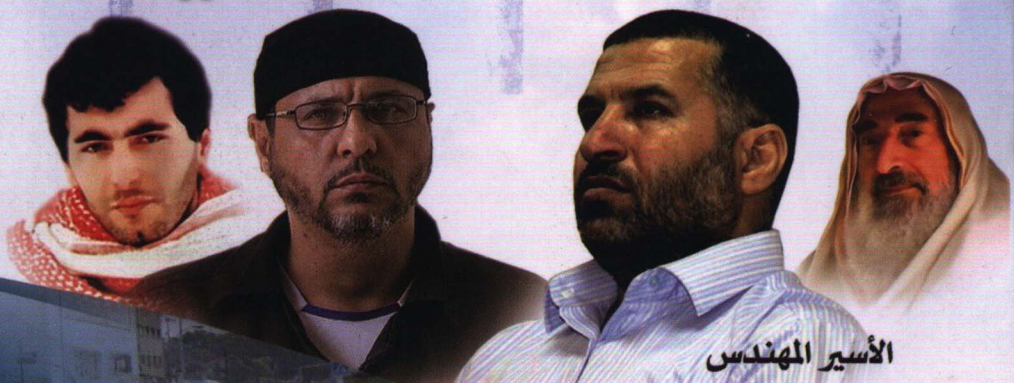

الأسير المهندس

عبدالله غالب البرغوثي

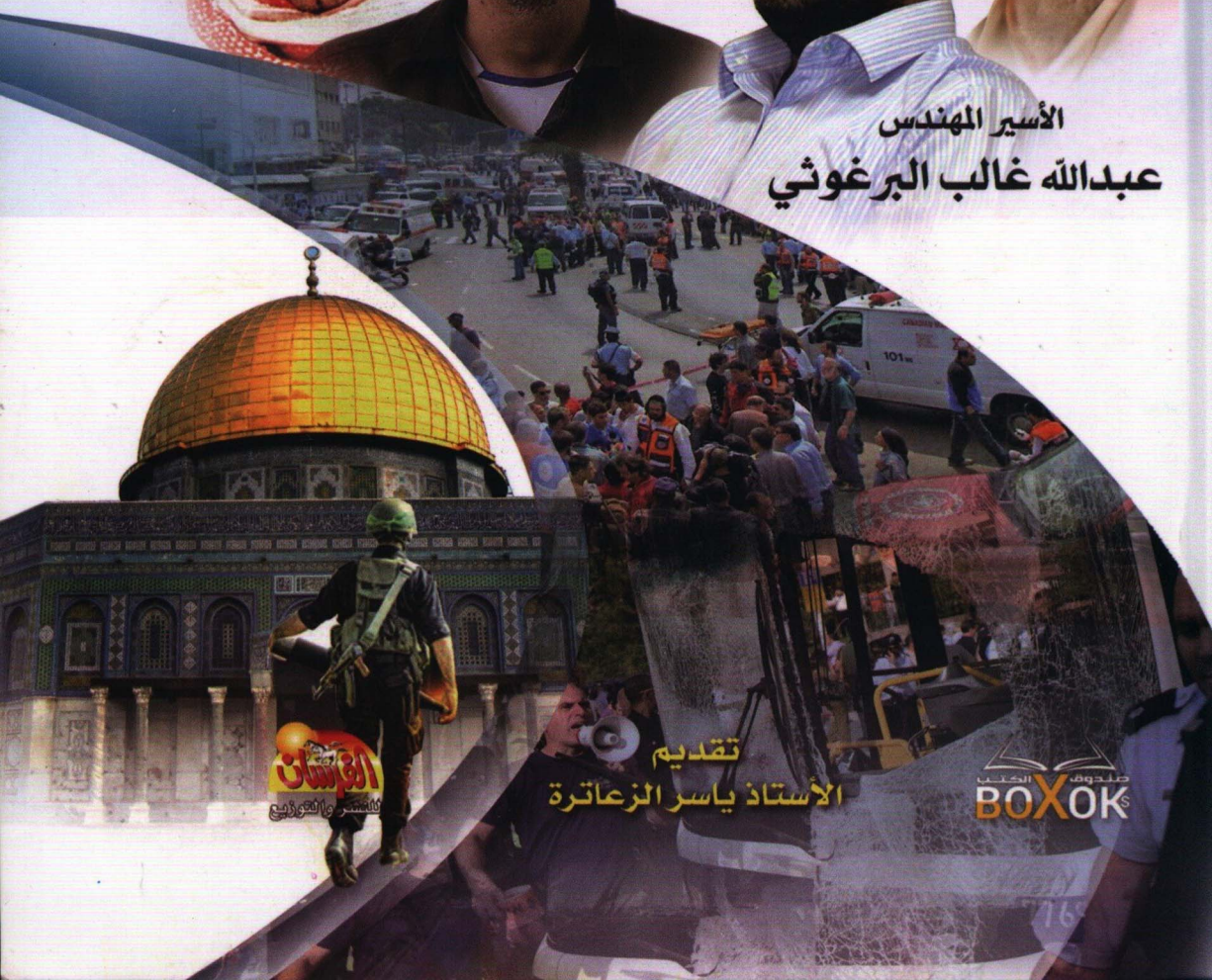

تقديم

الأستاذ ياسر الزعاترة

الفرسان للنشر والتوزيع
صندوق الكتب BOXOK

من أقوال الأسير المهندس:

اعلم انني اليوم أعيش في ظلمة زنزانة العزل الانفرادي منذ سنين طويلة .. طويلة جدا حتى انني لم اعد احصيها .

ولكن اذكر قبل دخولي الى العزل انني عشت ستة اشهر في زنازين التحقيق شاهدت خلالها الموت .. كلمته وكلمني .. لمسته في لحظات عديدة .. ولكني تغلبت عليه بعون من الله القاهر القهار .

اذكر انني عشت قبل ذلك اجمل واروع ايام عمري .. فلقد رفعت رأسي عاليا ورفعت راية التوحيد والجهاد اعلى .. في زمن الذل والهوان .

غدا سوف تأتي قطرة زيت كي تضيئ سراج الاقصى وقنديل القدس .

غدا قادم فلا تقنطوا من رحمه الله فهو الرحمن الرحيم .. وهو الغالب الجبار القادر على كل شئ .

عبدالله غالب البرغوثي

المهندس عبد الله البرغوثي
أبو اسامة - امير الظل

جميع الحقوق محفوظة لدى

مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع
عمان - العبدلي - هاتف 5607386 6 962+
فاكس 5653470 6 962+ خلوي 95208684 7 962+
Email:alfursan111@yahoo.com

ISBN 9789957606671

دار البرغوثي للنشر والتوزيع
www.daralbarguothi.com
00962785000488

الشَّهيدُ الحَيّ

مهندس على الطريق 2

الكتـــــــاب	الشَّهيدُ الحَيُّ.. مهندس على الطريق 2
المؤلـــــــف	عبد الله غالب البرغوثي
التصميم والإخراج	كمبيوتر إكسبرس - عمان - 360 5698 6 962+
الإشراف العـــام	م. حســـن صالـح

جميع الحقوق محفوظـــة لدى

مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع

يحظر نسخ و/أو طبع و/أو تصوير و/أو ترجمة و/أو إعادة صف وإخـراج هذا الكتـاب أو أي جزء منه و/أو تسجيله على الأشرطة و/أو وسائل تحميل الصوت أو الصورة و/أو الأقراص المدمجة أو المفنطة و/أو إدخاله على الكمبيوتر أو قواعد البيانات و/أو استغلاله بأي شكل من الأشكال إلاّ بموافقة خطيّة من الناشر.

All Rights Reserved ©

Al Fursan Est. For Publishing & Distributing

No part of this publication may be reproduced or distributed
in any form or by any means, or stored in a database or retrieval system,
without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

2016م - 1437هـ

9789957606671 ISBN

رقم الإيداع 5538/11/2015

مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع

Al Fursan Est. For Publishing & Distributing

Jordan - Amman - Abdaly	الأردن - عمـان - العبدلي
Tel. +962 6 560 73 87	هاتف : ٥٦٠ ٧٣٨٦ ٦ ٩٦٢+
Fax. +962 6 565 53 70	فاكس : ٥٦٦ ٣٤٧٠ ٦ ٩٦٢+
P.O.Box 240664 Amman 11124 Jordan	ص.ب ٢٤٠٦٦٤ عمان ١١١٢٤ الأردن

E-mail: alfursan111@yahoo.com

بقلم الأسير المهندس عبدالله غالب البرغوثي

تقديم الشهيد الحيّ أحمد سعيد الجعبري
«عشرة أعوام في قبر العزل الإنفرادي»

بسم الله الرحمن الرحيم،

و به نستعين.....

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (سورة الإسراء: ١٣ - ١٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنّي فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ (لو) تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم).

قال الرافعي: «إذا لم تزد شيئاً على الدنيا، كنت أنت زائدًا عليها».

أدعو الله العلي القدير أن يتقبّل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

الشهيد الحيّ
عبدالله غالب البرغوثي
أمير الظل القسامي

الإهداء

أهدي هذه الأوراق، أوراق «الشهيد الحيّ» إلى: والدي ووالدتي، وزوجتي وأبنائي، وأخواني وأخواتي، الذين لولاهم ما رأى هذا الكتاب وهذه الأوراق النور، فبعد فضل الله يعود الفضل لهم ولأخي جمال البرغوثي.

وأهديه إلى كل شهيد أنار بدمائه الطاهرة الزكية طريق الحرية والنصر، طريق الجماعة والحركة والكتائب، وإلى كلّ ساعٍ إلى تحطيم جدار الانهزام العربيّ والصهيونيّ.

وإلى أطفال الحجارة الذين كَبُرُوا فحملوا القرآن والبندقية والسنة النبوية، فأصبحوا إخوانًا حمساويين قساميين، وصنّاع مجدٍ ميامين.

إلى القسام عزالدين، والبنا حسن، والياسين أحمد، وإلى المجاهد القائم محمّد الضيف، وإخوانه المجاهدين القائمين في الميدان، وإلى المجاهد الشهيد أحمد الجعبري، وإخوانه المجاهدين الذين قدّر الله لهم الشهادة، فأصبحوا هم وحدهم الشهداء الأحياء.

الشهيد الحيّ

عبدالله غالب البرغوثي

فهرس المحتويات

البيان	٣
الإهداء	٤
شهيدٌ يقدِّم لشهيدٍ	٧
تقديم الشهيد الحيّ « أحمد سعيد الجعبري» رحمه الله	١٠
شكر وعرفان للشّهيد الحيّ من الشّهيد الحيّ	١٢
مقدمة ياسر الزعاترة «مهندس على الطريق سيرة البطولة بعد الاعتقال»	١٤
رسالة الملاك الحارس تالا	١٩
أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟!	٢٢
أحبّ و لا أحبّ	٢٥
سكرات الموت	٢٦
الطاووس البليد	٢٨
السوسة اللوامة	٣٢
الآخرون	٤٠
القضبان الكثيفة والجدران الغليظة	٤٧
الرضا بقضاء الله وقدره	٥١
وداعًا للقدس	٥٤
قسم الحراسة المغلقة	٥٧
عقلاء بلا عقل... ومجنون بعقل	٦٣

جراح المعرفة وندوب الحكمة	٦٦
محامون أذكياء ومحامون بلهاء	٦٧
مجموعة صور وذكريات بلا صور	٧٣
عيدٌ بأي حال عدت ياعيد	٧٦
قلمي بندقيتي.. كلماتي رصاصاتي	٧٩
زناد القلم	٨٠
قتلوا الحواس فبقي الإحساس	٩٤
خواطر	٩٨
النفيس والخسيس	١٠٠
مرافقون منافقون	١٠١
عظامي تكسر..عظامي تطحن	١٠٣
هذيان حرب البقّ	١٠٧
الحمساوي	١١٢
القَسّامي	١١٦
العقيدة القسامية	١١٩
عقيدة الغراقدة	١٢٥
تساقط الحُجب	١٣١
وفاء الأحرار	١٣٢
أمير الظلّ..سؤال وجواب وفكرة	١٣٥
الشهيد الحيّ وصايا ونصائح.. ومحاذير	١٤٩
الخاتمة	١٥٧

شهيدٌ يقدّم لشهيدٍ

لقد كتبت الأخت الفاضلة والكاتبة الإنسانة والفلسطينية الحرة (فدوى حلمي) في صحيفة (صوت الحق) الفلسطينية العربية الإسلامية مقالاً تحت عنوان (الألحان الناسفة لأمير النور) وقد كان لهذا المقال الأثر العظيم في نفسي.. كيف لا وقد أبقيت على مقدمة الشهيد الحيّ (أحمد الجعبري) لتكون خير مقدمةٍ لكتابي هذا؟! وكيف لا وقد أسميت هذا الكتاب بكتاب (الشهيد الحيّ)؟! كيف لا وقد أيقنت من خلال مقالة الأخت الفاضلة (فدوى حلمي) أن رسالتي قد وصلت، وأنها كسائر الأحرار تنتظر المزيد؛ لعلها تجد الطريق.. طريق المهندس.. أمير الظل.

هاك أخي القارئ وأختي القارئة ما كتبته أختنا الحرة (فدوى حلمي) وذلك حتى تتّضح لكم الصورة قبل أن نبدأ مشوارنا مع الجزء الثاني من كتاب (مهندس على الطريق.. الشهيد الحيّ)؛ الذي يأتي تتمة للجزء الأول الذي كان تحت عنوان (مهندس على الطريق.. أمير الظل).

الألحان الناسفة لأمير النور

قليلة هي النصوص التي تتخطى مدى العين بعد القراءة، وتسكن فيك أو أنت تسكن فيها، المهمُّ أنّها لا تفارقك، فببراعة تتسلل بعض عبارات تلك النصوص إلى وجدانك يقظًا كنت أم نائماً، لتسردها المرة تلو المرة وتعيد قراءتها وتذوقها، حتى تدرك كيف تغدو الكلمات جسراً بين الحياة والموت، والواقع والحلم، إحدى هذه النصوص هي التجربة الكتابية للأسير الأردني الهوية الفلسطيني الأصل، القائد عبدالله البرغوثي في كتابه (أمير الظل.. مهندس على الطريق)، وليس من الإنصاف تصنيفه كرواية أو قصة أدبية، والإلقاء به في غمار النقد الأدبي، وربما ليس منافساً لكثير من الأعمال الأدبية، فكيف تقارن الحقيقة بالخيال والدم بمداد القلم؟!

في مثل هذا النوع من الكتابة يجلس الأدب تلميذاً في حضرة فعل المقاومة، وحضور البندقية؛ يبدأ تعلقك بالكتاب من الصفحة التاسعة، عندما تقع عينك على اسم من قدم للكتاب (رئيس أركان حركة حماس: أحمد سعيد الجعبري)، في شهر نوفمبر من عام ٢٠١٢، في ذات الشهر الذي اغتيل فيه، ومن الصعب أن يكون للصدفة مكان في حياة المجاهدين، فيقول رحمه الله في هذه التقدمة: «لقد شعرت بعبق البطولة، وعظمة الإسلام وعزة القسام وأنا أقرأ هذه الصفحات التي كتبها الدم والدين قبل أن يكتبها المداد والقرطاس، وأشعر بفخرٍ وعزةٍ وأنا أقدم لكلمات البطل الأسير عبدالله البرغوثي، الذي سماه (أمير الظل) وهو عندي أمير النور والجهاد..!

بما لم يجر في خلَدِ الجعبري بأنه مع صدور الكتاب سيكون قد غدا (شهيدًا يقدم لشهيد) مع وقف التنفيذ، يبدأ البرغوثي دافعه للكتابة بالإجابة عن أسئلة من لقبَّها بـ (ملاكي الحارس) ابنته الكبرى (تالا)، التي حملت اسم سارة ولينا عندما اضطر والدها لتغيير هويتها أكثر من مرة، أثناء فترة مطاردته ليتمكن من حماية أسرته، لكنها في الحقيقة (تالا)، ومن عندها تبدأ الحكاية، فيقول البرغوثي:

«سوف أقصُّ عليك قصتي وقصة حياتي، لعلك يا ملاكي الحارس تجدين إجابة على أسئلتك، ولعلك تستطيعين أنتِ يا ابنتي أن تقولي لي من أنا، ولماذا أنا؟! حبيبتي الصغيرة لقد بدأت قصتي من هناك..!»

إن الأسلوب الحواري للبرغوثي مع ابنته في كتابه يعكس نموذجاً نادراً للتواصل الأبوي في واقع غياب الأب، يشعر بها عن بعد ويخاطبها كرفيقة سلاح، ويبثُّ لها آلامه ويشركها في لحظات انتصاره وفرحه.

ثم يزداد وقع كلمات البرغوثي للأقصى حنيناً، وللثورة مشعلاً، وتأسرك الرهبة عندما يروي حكاية شيخ فلسطيني يرى من البرغوثي الغيرة الشديدة على دين الله، وعشقه للتصدي للصهاينة، فيدعوه لتناول الطعام في منزله، ويخبره بأن لديه أمانة يريد من البرغوثي تسليمها لصاحبها،

ولم تكن تلك الأمانة سوى حقيبة جلدية مغلقة، كان قد تركها المهندس (يحيى عياش) أمانة عند الشيخ، الذي بدوره طلب من البرغوثي أخذها قائلًا:

«خذها يا ولدي فصاحبها استشهد منذ زمن، خذها بالله عليك! فهي لك أنت.. أنت صاحبها وهي صاحبتك، خذها وسِرْ على درب المهندس عياش، حرام أن تبقى مدفونة في الأرض بعد أن اندلعت الإنتفاضة، وبعد أن بدأنا نودع الشهيد تلو الشهيد!!»

لله درُّكَ يا سيد المهندسين، لأنك يحيى وإنك لعياش، تمدُّ صباح الحرية بعد رحيلك بمهندس قسامي عنيد، لم يلقَكَ قطّ، بل اكتفى بحقيبتك، وانطلق بها البرغوثي مقاوماً في سياسة العقاب التي شكلت الدافع المجهول للواجب الجهادي فيقول البرغوثي:

«العقاب.. هي تلك الكلمة التي تصف ما أريد القيام به تجاه عدوي، لا أريد أن أثأر لنفسي ولا للجرحى والشهداء، ولا أريد أن أنتقم فالانتقام أعمى ويُعمي صاحبه، والثأر ما هو إلا ردُّ فعلٍ سريع ومتهور..!»

وتعدُّ عملية الاستشهادي (عزّالدين المصري) إحدى أشهر عمليات المهندس عبدالله البرغوثي، صاحب التطور النوعي للسلاح القسامي، فبقيثارة ناسفة استبدل الأحزمة الناسفة التي كان لها زمنها، أما الآن (فزمن الألحان الناسفة) قالها أمير النور، وهكذا أرادها مفاجأة للعدو.

في كتاب (أمير الظل) أكبر بكثير مما تستطيع أن تحمله مقالتي، أو ما تستطيع السطور احتواءه، فأحرف كلماته تحاصرك حتى تتقزم أمامها بل تذوب، أمير يحرق بظله الأقنعة التي سكنت ضوء واقعنا الزائف، اختار لنفسه أن يكون مهندساً على الطريق، ومعه فقط يتحول الطريق إلى كتاب إرشاد إلى الجنة. سأقرأ الكتاب كلما فتّت القهر الجوارح، وكلما سكن الظلم المدامع، وسأحتفظ بنسخة منه في سيارتي، فلست مهندسة لكن لعلّي أجد الطريق.

فدوى حلمي ٢٠١٣/٥/٢٤

صحيفة صوت الحق

تقديم الشهيد الحيّ أحمد سعيد الجعبري «يرحمه الله»

شهيدٌ يقدّم لشهيد

بسم الله الرحمن الرحيم..

قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: ٧٤).

لم تكن أمة العرب قبل الإسلام شيئاً مذكوراً، حتى إذا دخلت في الإسلام واتخذته منهجاً وحياةً رفع الله به ذكرها بين الأمم فصارت سيدة الأمم والدنيا، فظلّت كذلك دهراً ما تمسّكت بالكتاب والسنة والجهاد، ولم يتغير حالها أو يتبدل مركزها إلا يوم أن تخلّت عن الجهاد، واستنام قادتها إلى زخارف الدنيا وكرسي الحكم، فغلبها عدوها واستعمر بلادها ونهب خيراتها، وأعطى فلسطين وطناً قومياً ليهود العالم، الذين تمكّنوا من إقامة كيان صهيوني يفرض سيطرته على الأراضي الفلسطينية والشعب الفلسطيني بقوة السلاح وأجهزة الأمن.

لم يستسلم الشعب الفلسطيني لإرادة المحتل وسطوته، وفجّر ثوراته المتجددة في وجهه دفاعاً عن حقوقه الوطنية وحمايةً لثوابته، وحراسةً لدينه، ومازالت قوافل الشهداء والأسرى تتوالى، وتقدّم من البطولات وقصص الصمود والتحدّي ما تعجز عنه شعوبٌ أخرى.

ومن هذه البطولات والسِّير التي يجدر بكلّ فلسطيني بل وبكلّ مسلم أن يقرأها، وأن يتدبّر دروسها، قصة البطل الأسير المهندس عبدالله غالب البرغوثي وسيرته، المحكوم بالسجن سبعةٍ وستين مؤبداً وخمسة آلاف ومئتي عام! والذي رفض قادة الاحتلال الصهيوني الإفراج عنه ضمن صفقة (وفاء الأحرار)، وفضّلوا إلغاء الصفقة أمام أحرار مفاوضي حماس على تحريره.

عبدالله البرغوثي أحد أبرز قادة كتائب الشهيد عزّالدين القسام في الضفة الغربية على مدى عشر سنين، كان مهندساً للإلكترونيات والتفجيرات، خَلَفَ الشهيد يحيى عياش بخير، وأبدع في الدفاع عن شعبه وإذاقة العدو من كأس الدم الذي سقاه لشعبنا الفلسطيني، فكان المسؤول الأول عن عملية (مطعم إسبارو) التي نفذّها الشهيد عزالدين المصري يرحمه الله، وعن العشرات من العمليات التي حكت بطولة هذا القائد المجاهد الأسير، وتفوقه العقلي والأمني على قادة الاحتلال وجهاز الشاباك الصهيوني، وقّدم نموذجاً فّذا في حبِّ الإسلام، وقيادة القسّام، والإخلاص لدينه ووطنه وحركته.

ولئن وَقَعَ القائد القسامي عبدالله البرغوثي أسيراً بوشاية من عميل خائن، فقد ظل في سجنه بطلاً كتوماً لم يتمكّن جهاز الشاباك الصهيوني من أخذ كلمةٍ واحدةٍ منه، رغم قسوة التحقيق وطول مدّته، وإشرافه على الموت مرّاتٍ عديدةٍ، ومثله يجب أن يكون خارج سجنه، يقود شعبه إلى الحرّية وتقرير المصير، ويجدر بالمقاومة الفلسطينية وكتائب القسام أن تعمل كلّ ما تستطيع وفوق ما تستطيع من أجل تحريره وفكِّ أسره.

لقد شعرتُ بعبق البطولة، وعظمة الإسلام، وعزة القسام، وأنا أقرأ هذه الصفحات، التي كتبها الدم والدين، قبل أن يكتبها المداد والقرطاس، وأشعر بفخرٍ وعزةٍ وأنا أقدم لكلمات كتاب البطل الأسير عبدالله البرغوثي الذي أسماه (مهندس على الطريق.. أمير الظل) وهو عندي أمير النور والجهاد، وأسأل الله بحوله وقوته أن يعجِّل بالفرج لأخي عبدالله البرغوثي وإخوانه، وأن يجزيهم أحسن الجزاء على كلّ ما قدّموه وما سيقدّموه إن شاء الله، وأشعر باطمئنانٍ لقادم الأيام التي ستشهد حرية القائد وإخوانه بإذن الله وقوّته.

أحمد سعيد الجعبري (أبو محمد)
نوفمبر ٢٠١٢

كل الشكر والعرفان للشهيد الحيّ -بإذن الله-

أحمد سعيد الجعبري

نعم لك مني أخي وقائدي شهيد فلسطين والإسلام الحيّ (أبو محمد) أحمد الجعبري كلّ الشكر والعرفان والامتنان، عل كلّ ما قدمته لدينك ولأمتك وحركتك وكتائبك بشكل عام، ولِيَ بشكل خاص، فقد كان لوقع كلماتك الصادقة الطاهرة فعل الدواء الشافي، والبلسم المعافي من سياط الجلّاد الصهيوني الجبان، ومن ظلم السجان الساديّ الحاقد، يشهد الله أن كلماتك الطاهرة التي جاد بها قلمك عليَّ، عندما قدّمت لكتابي الأول (مهندس على الطريق... أمير الظل) كانت كشعاع الشمس الساطع الذي بدَّد ظلام زنزانة قبر العزل الانفرادي، الذي تم دفني فيه حيًا أو شبه حيٍّ منذ أعوام.. وأعوام.

شكراً لك يا شهيد الإسلام الحيّ، يا من حمل القرآن الكريم والسنة المطهّرة في قلبه وعقله وروحه، فامتشق بندقية القسام ورفع اللواء، ليجاهد في سبيل الله تعالى ضدّ اليهود الصهاينة المحتلّين، وضدّ قوى الشرّ والاستبداد التي تكالبت جميعها وبشتى ألوانها وأشكالها على (جماعة الإخوان المسلمين، وحركة المقاومة الإسلامية حماس، وكتائب الشهيد عزالدين القسام).

شكرًا لك يا صاحب البصمة والانتصار، يا من طلب الشهادة وتمنّاها بصدقٍ وإخلاص، فنالها كما طلبها وتمنّاها (بإذن المولى عز وجل).

قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٩- ١٧٠)

شكراً لك أخي الشهيد الحيّ والقائد الحيّ لأنك قدّمت.. وقدّمت.. وقدّمت، وعرفاناً وامتناناً لك، اسمح لي أخي الشهيد الحيّ أحمد الجعبري أن يبقى تقديمك للجزء الأول من كتاب (مهندس على الطريق.. أمير الظل) هو نفسه التقديم الذي أتشرّف به للجزء الثاني من الكتاب الذي أسميته (مهندس على الطريق.. الشهيد الحيّ).

يا شهيداً حيًا عند ربه يقدّم لشهيدٍ مع وقف التنفيذ.. شهيدٍ يقبع بجوف قبر العزل الانفرادي منذ أعوامٍ.. وأعوام.

أخوك الشهيد الحيّ
عبدالله غالب البرغوثي
أبو أسامة

مقدّمة الأستاذ ياسر الزعاترة

مهندس على الطريق.. سيرة البطولة بعد الإعتقال

كما أدهشنا عبدالله البرغوثي وأمتعنا في الجزء الأول من سيرته الذاتية «أمير الظل.. مهندس على الطريق»، ها هو يدخلنا في حالة أكبر من الدهشة والإعجاب في هذا الجزء الثاني من سيرته.

في الجزء الأول، مضينا مع بطل استثنائي استحق في عرف أعدائه أن ينال أعلى حُكم، ربما في تاريخ البشرية (٦٧ مؤبداً)، فيما استحق في عرفنا نحن المسكونون بهاجس المقاومة -مقاومة الظلم أيًا كان، ومن أيّ عدو كان- أن يكون واحداً من الأبطال الذي تُسطَّرُ أسماؤهم بأحرف من نور في تاريخ الشعب الفلسطيني، والأمة العربية والإسلامية، وربما في تاريخ الشرفاء والأحرار على مستوى العالم.

في الجزء الأول، كنا نمضي مع البطل مشدوهين من محطة إلى محطة، وهو يبدأ الرحلة -رحلة الحياة- أولاً في دروبها الوعرة، ثمّ وهو الأهم، رحلته في مقارعة العدو الصهيوني، وهي الرحلة التي استحق بناءً عليها ذلك الحُكم الهائل. ولولا أنّ عبدالله البرغوثي كان بطلاً استثنائياً ما كان ذلك الحُكم، بل ما كان ذلك الإصرار العجيب على رفض ضَمِّه، وبعض إخوانه الآخرين إلى صفقة وفاء الأحرار، ولو كان الثمن إفشالها نظراً لما يراه الصهاينة من قدرات استثنائية لديهم.

هذا النموذج من الأبطال ليسوا كثرة في كلّ الشعوب، وهم في حالتنا، ممّن يصنعهم الله على عينه، ليقدّموا نماذج للأجيال، وليس لجيل واحد، ولذلك قلنا في المرة الماضية أنّ كتاب البرغوثي يستحق أن يُدرَّسَ للأجيال، لا ليأخذوا أساليب البطل؛ فلكلّ زمان أدواته، بل ليأخذوا الدرس من عظمة عطائه واستبساله في الإبداع من أجل مقاومة عدوه، وبثّ الوجع في أوصاله.

وفيما ظننا أنّ سيرة البطولة قد انتهت عند ذلك الحدّ، وعند تلك اللحظة التي وقع خلالها في أسر عدوه، ها هو يدهشنا من جديد بسيرة بطوليّة لا تقلّ عظمةً وإبداعاً بعد الاعتقال، وهي سيرة، لا شكّ سنعثر على مثلها في أحوال آخرين لم يكتبوا تجربتهم، وقد يكتبونها إذا تيسّر لهم ذلك، لكن إبداع البرغوثي، لم يتوقف عند ترجمة السيرة فعلاً مقاوماً، ولا عند إبداع الكتابة الرائعة، بل عند إبداع تهريبها إلى خارج السجن، وتلك حكاية مذهلة أيضاً.

من الصعب علينا أن نضع في هذه الكلمات تعريفاً للسيرة، ولا وصفاً لها، لأنّنا قد نُسيء إليها من حيث أردنا أن نُحسن، ففيها من التفاصيل ما يجب أن يمرَّ عليه القارئ بعناية، كي يُدرك أيَّ بطل استثنائيٍّ هذا الذي يقف أمام سطوره، ونبض كلماته، بل نبض روحه وقلبه ونور عقله أيضاً.

تبدأ هذه السيرة من لحظة الاعتقال، ولا تنتهي إلا مؤخراً، ربما بعد الحرب الأخيرة على قطاع غزة عام ٢٠١٤م، وكانت المفارقة أن يقدّم لها بطل استثنائي أيضا -بطلٌ خاضَ الصهاينة حرباً من أجله- إنّه البطل الرائع، قائد القسام أحمد الجعبري، الذي سيُكتبُ اسمه هو الآخر في سجلّ الخالدين من الأبطال والشهداء، والذي كما البرغوثي لو كانوا في سياق آخر، لكان من حقهم علينا أن يكون لهم فيلم سينمائي على شاكلة (بريف هارت) (القلب الشجاع) لـ (ميل جيبسون)، ذلك الذي جسّد حياة ثائر اسكتلندي ضدّ الاحتلال البريطاني، والذي استحق جائزة الأوسكار، ولا زال الناس يشاهدونه مرة تلو مرة دون ملل.

يستحق البرغوثي، ويستحق الجعبري، وثلة آخرون مثل هذه الأفلام، ففي سيرتهم من البطولة والدراما ما يجعلها جديرة بأن تُحكى، وأن تترجم صورة وصوتاً، وكتباً وروايات لتحفظها الأجيال وتتعلّم منها.

يكتب الجعبري مقدمة للبرغوثي، ثم يمضي شهيدًا، يكتب شهيد ارتقى إلى ربّه، مقدمة لشهيد حيّ كما يصف نفسه، وبذلك يلتحم الدم بالدم، والعطاء بالعطاء، والبطولة بالبطولة، في مشهد إنسانيّ رائع.

في هذه السيرة، يأخذنا البرغوثي في رحلة مثيرة إلى حكايته مع السجن والسجان، ليس فيما انطوت عليه من بطولة، وإصرار، وإنّما أيضاً في إصرار البطل على الحياة، بل إصراره على استمرار النضال، معلناً بأنّ نفاذ رصاصاته الحقيقية، لن توقف رصاص الكلمات الذي سيطلقه في وجه العدوّ دون توقف، من خلال تعبئة الأجيال كي تقوم بدورها في مقارعته.

هنا أيضا، يتجلى إبداع الكلمة/الطلقة، والفكرة/الرصاصة التي تدوّي في سماء المحتل، فتثير الرعب في مجتمعه، بينما تدوّي في سمع الأجيال، فتحيلها بركاناً يتفجّر في وجه الغزاة.

يأخذنا البرغوثي في هذه السيرة إلى رحلته مع السجون، بل مع القبور في واقع الحال، ففي بعضها كان ثمة ما هو أسوأ من القبر بمعناه الدارج، فبعد ١٨١ يوماً من العزل والتعذيب، يصمد خلالها البطل صمود الأبطال العظام، ولا يأخذ العدو منه أيّة كلمة تصبُّ في صالحه، أو تضرّ بالمقاومين.. بعدها ينتقل إلى عامين آخرين في سجن أسوأ بكثير من القبر -إنه قبو انفرادي- لكنه ليس ككلّ القبور، إنّه يُطِلّ على أعين جبانة متلصِّصَة على مدار الساعة، تحصي أنفاس البطل عبر كاميرات مثبتة في المكان، وللمرء أن يتخيّل كيف يمكن أن يعيش معزولاً في جُحرٍ لمدة عامين، ويقضي حاجاته الإنسانية وهو مكشوف بالكامل لعيون عدوّ جبان على مدار الساعة.

هنا تتجلّى العظمة الاستثنائية، ففي حين كان القتلة يتمنّون اقتناص لحظة ضعف من البطل، يصرّ هو على أن يردّ عليهم بعنفوان تخرق بشررها أعين الصهاينة المتلصِّصَة الخبيثة، بحسب تعبيره، ويرفض رغم قلّة الطعام، وبؤس الحال أن يطلب طعاماً للجسد، وكانوا يتمنون ذلك، ولكن لماذا؟ يردّ البطل: «كي لا تجوع كرامتي».

هنا، والآن، وفي هذين العامين، وكما في كلّ المحطات الأخرى، يحضر الإيمان، ويحضر القرآن وتحضر الصلاة، ويحضر اليقين بأن هذه الدنيا ليست سوى محطة عابرة نحو الخلود في مقعد صدق عند مليك مقتدر، بل تحضر شفافية الروح «البارسايكولوجي» بالتعبير الغربي، وحيث يطلّ البطل بشفافية روحه وأحاسيسه الكامنة على أحداث يراها وتكون قد تحققت في الواقع، وفي التفاصيل ما يثير الدهشة.

بتلك الأسلحة الإيمانية كان البطل يقاوم جوع الجسد، ووجعه، وبرد وحدّة وعدّاد ساعات وأيام تمرّ بطيئة وثقيلة، في مكان لا يسمع البطل فيه ولا يرى أيّ أحد.

بعد ذلك ينتقل البطل إلى محطة أخرى، فمن هذه المحطة التي عجز القتلة خلالها أن يقتنصوا منه لحظة ضعف، وواجه فيها عنفهم بكبرياء الأبطال، وشموخ العظماء.. يتقرر نقله إلى زنزانة فيها عدد من البشر، بعد محطة عابرة يقابل فيها بعضاً من إخوانه.

ينقلونه إلى مكان يعتقدون أنّه سيصاب على إثره بالبَلَه والجنون؛ ينقلونه إلى حيث المرضى النفسيين، لكنّ البطولة تحضر هنا، ومعها الإبداع، فيروِّضُ البطل أولئك المرضى ويحوّلهم إلى أداة بيده في مواجهة السجّان، ويستخدمهم ضدّه، رغم أنّهم ليسوا من أبناء دينه ولا ملّته، ويتعلّم منهم اللغة العبرية، فأيّ إبداع هذا؟ في التفاصيل سيعرف القارئ حكاية «سمفونية الردّ»، كما سمّاها، والتي صاغها البطل من خلال أولئك المجانين في مواجهة القتلة، ولا حاجة لحرمانه (أي القارئ) من معرفة تفاصيلها.

ثمّ يمضي من سجن إلى سجن، ومن عزل إلى عزل، وفي كلّ تلك المحطات يحضر القلم/البندقية، والكلمة/الرصاصة التي تواصل الانطلاق بلا توقف، فيكتب عدداً من الروايات والكتب التي نشر بعضها وسينشر البعض الآخر تباعاً، ولا يتجلّى الإبداع في الكتابة، بل في الوسائل التي ابتكرها البطل من أجل تهريب ما سماه «الأحاجي والألغاز» إلى خارج السجن، ولذلك حكايته أيضاً.

في هذه الصفحات، نعيش مع بعض تلك الكلمات التي سطرها بإبداع، وهرّبها للخارج بإبداع، وفيها نعيش جولات من البطولة والعظمة، لا شكَّ عندي أنَّ القارئ سيجد فيها الكثير من الروعة والإلهام والمتعة في آن، مع الكثير من الأمل أيضاً، والذي يبقى حيًا رغم كلّ ما عانى البطل وما يعاني.

أتركك أخي القارئ مع هذه الصفحات، كي تدرك أنّ سجل فلسطين من البطولة لن يتوقف، وأنّ نهر العطاء ماضٍ بلا توقف؛ بعبدالله البرغوثي وسرب الأبطال في الأسر، وبآخر في الميدان، ثم بأجيال ستستلهم هذه السيرة في مزيد من الإصرار على المقاومة، حتى يأذن الله لفلسطين أن تعود من بحرها إلى نهرها، بيضاء من غير دنس الاحتلال، وما ذلك على الله بعزيز.

ياسر الزعاترة

من الرسالة تبدأ الحكاية

بعد أن أمضيتُ عشرة أعوام في «زنزانة القبر» العزل الانفرادي، قرّرت أن أفرغ ما في عقلي من ذكرياتٍ على الورق؛ حتى أفسح المجال لأحداث جديدة ستغدو ذكرياتٍ.

فبعد أن تعنّتَ المحتلّ وأبقاني خلف جدران الأسر، رافضاً إطلاق سراحي في صفقة (وفاء الأحرار١) وجدت أن بقائي داخل زنزانة العزل الإنفرادي قد يمتدّ إلى عشرة أعوام جديدة، فقررت أن أفرغ ذاكرتي من ذكريات الأعوام العشرة الماضية، لذلك عدتُ إلى رسالة ابنتي الحبيبة وملاكي الحارس، حتى أبدأ معها الحكاية.. حكاية الشهيد الحيّ الذي عاش مكبّلًا في قبر العزل الانفرادي.

من رسالة تالا (ملاكي الحارس)، كانت بداية الحكاية، حكاية (مهندس على الطريق) بجزئه الأول (أمير الظل)، ومنها ستكون بداية (مهندس على الطريق) بجزئه الثاني (الشهيد الحيّ).

فهاكمُ الرسالة حتى ننطلق إلى ما بعد البداية: رسالة الملاك الحارس تالا البرغوثي

إلى أبينا الغالي على قلوبنا، نكتب هذه الرسالة بمناسبة ذكرى دخولك المعتقل، هذه الذكرى التي قد مرّ عليها عشرة أعوام، وأنت يا أبانا خلف القضبان والأسوار، خلف القضبان وداخل غرفة العزل الانفرادي.. لا ترى أحدًا ولا تكلّم أحداً.

أبانا، بل أبي أنا.. فأنا ابنتك تالا التي تكتب هذه الرسالة نيابة عن أخويَّ (أسامة وصفاء)، أكتب لك يا والدي معاتبةً حائرةً متسائلةً، فأنا لا أدري إن كان يحقُّ لي أصلًا أن أعاتبك وأسألك تلك الأسئلة التي تدور في ذهني، ولكنّ حيرتي هي التي دفعتني لأن أسأل هذا السؤال الذي لم أجد عليه إجابةً ممن حولي.

فكل واحد منهم يجيب إجابة مختلفة عن إجابة الآخر، رغم أن السؤال واحدٌ لم يتغيّر ولم يتبدّل.

أبي الغالي، أبي الحبيب، أعلم أن صدرك واسع، وأنك تجيب عن أسئلتي دائما قبل أن أسألها، فأنت الأب الذي لا يتضايق من أسئلة أبنائه الصغار، لكني اليوم قد كبرتُ وكبُرتْ معي تلك الأسئلة التي ألخصها لك بسؤالٍ واحدٍ علّي أجد عندك الجواب الشافي عليه، وسؤالي هو: من أنت؟ من أنت يا أبي؟ ...

أأنت ذلك الطيّب الحنون كما تقول جدّتي، أم أنت ذاك القاسي منزوع القلب كما يقول جدّي؟! هل أنت ذلك المحب العاشق الذي جاء على حصانه الأبيض ليأسر قلب أمي فتقع في حبِّه؟! أم أنت ذلك الذي جاء من المجهول وغادر أيضا إلى المجهول فكسر قلب أمي وجعلها تبكي وتبكي ما إن يذكر اسمك أمامها، قالوا عنك: جبارٌ، قويٌّ، لا ترحم، وقالوا أيضًا: أنّك تملك عقلين لا عقلًا واحدًا مثل باقي البشر، وهناك من قال نك استبدلت بقلبك عقلًا آخر!

ولكنهم يا والدي الحبيب يقولون أيضًا: أنه لولا قلبك الكبير وحنانك وطيبتك ما وصلت إلى ما وصلت إليه.. ما قاتلت.. ولا عني ابتعدت.

لا أدري من أنت؟.. من أنت؟ أأنت تلك الصورة التي كتبت عليها عبارة (الأسير البطل) تلك العبارة التي لا أفهم لها معنًى؟! أسيرٌ بطلٌ؟! كيف يصبح الأسير بطلًا ؟! أم أنّ السؤال هو: كيف يصبح البطل أسيرًا ؟!

هل أنت مقاومٌ بطلٌ، أم أنك مجرد متهوّر خاض حربًا لا ناقة له فيها ولا جمل؟!

قل لي بربك يا عبدالله الجمل: من أنت؟!

ألم يكن هذا اسمك قبل أن تصبح عبدالله البرغوثي أو عبدالله القسّام؟ من أنت؟!

أأنت ذلك الظل الذي لا أرى صاحبه، ولكن يمدّ لي يد العون والمساندة دون أن أطلب؟!

هل تعلم يا والدي الحبيب أنك الأب الوحيد الذي لا ينسى ذكرى ميلاد أبنائه، وذكرى ميلاد من يحبّ؟! كل الآباء ينسون أما أنت فلا تنسى، مادمت لا تنسى، فلماذا غبت عنا طوال هذه الأعوام؟! ألم تكن تعلم أنّ من يقاتل يبتعد ويغيب عن أحبابه؟!

والدي، أجب عن سؤالي: من أنت؟! ولماذا تركتني وأنا طفلة صغيرة لم يتجاوز عمرها ثلاثة أعوام ملقاة في سيارة تحاصرها الكلاب من كل صوب ؟! لماذا تركتني في البرد القارص بعد أن غبت ولم أعد أراك؟!

بالله عليك يا أبي قل لي من أنت؟! قل وأجب عن أسئلتي التي سألتها وتلك التي لم أتجرأ على سؤالك إياها.. من أنت يا أمير الظل .. من أنت؟!

ابنتك المحبة (تالا البرغوثي)

لقد أجبتك يا ابنتي الحبيبة ويا ملاكي الحارس على تلك الأسئلة وأكثر في كتاب أمير الظل ولكنني أبحث عن مجيبٍ عن سؤالي أنا: أحيٌّ أنا أم ميّت داخل قبر العزل الانفرادي؟! أشهيدٌ حيٌّ أنا؟ أم أنني أحيا كالشهداء مع وقف التنفيذ؟!

من داخل قبر العزل الانفرادي أكتب لكم أحبتي القراء، وأكتب لك يا ملاكي الحارس، لعلكم تخبرونني وتجيبون عن سؤالي الأوحد: أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟! أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟! أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟!

الشهيد الحيّ
عبدالله غالب البرغوثي
من داخل قبر العزل الانفرادي

أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟!

نعم، يا ابنتي الحبيبة، ويا ملاكي الحارس (تالا) والله ما عدتُ أدري: أحيٌّ أنا أم شهيد؟ وكيف لي أن أدري يا حبيبتي الصغيرة وقد دفنوني وأنا على قيد الحياة في القبر، ذلك القبر الذي أسموه زنزانة العزل الانفرادي، وما هو في حقيقة الأمر سوى قبرٍ قد حفر بجوف الأرض، قبرٍ مظلم ضيق رطب، قبرٍ تملأ العفونة جدرانه وكل أركانه. لذلك ما عدتُ ألمس للحياة مظهراً هنا، فأنا مجرد جسدٍ مكبلٍ ومدفونٍ، حين ترفض روحي مغادرته، لتبقى هي الأخرى مكبلةً داخله، وذاك أمرٌ محيّرٌ مقلقٌ مستفزٌ وجدُّ خطير.

فعلى الرغم من جمود عقلي وتحجر قلبي وتوهان فكري، فإن جسدي مازال يتنفس!

وكيف له ذلك؟! وكل المؤشرات تشير إلى أنني مجرّد جثةٍ هامدةٍ لا أكثر ولا أقلّ، وأنّ دود الأرض قد بدأ بالتهامي.

ذلك كان حالي عندما زجّوا بي داخل قبر العزل الانفرادي، بعد أن أمضيت ستة أشهر داخل قبو التحقيق، هناك في معتقل (المسكوبية) في القدس المحتلة، كان ألم جسدي الناتج عن وحشية تعذيب الصهاينة لي، يدلّ على أني مازلت حيًا، أما هنا فلا تعذيبٌ جسدي، ولا صوتٌ لسياط الجلّاد المجرم، إنما التعذيب الممارس هنا هو التعذيب النفسي، وهو أشدُّ وأقسى من التعذيب الجسدي الهمجي الوحشي الذي مكنني المولى (عز وجل) من الانتصار عليه.

نعم لقد خرج جسدي من معركة التحقيق حيًا بالرغم من شدة آلام الجراح، والعظام المتكسّرة.

أما هنا (في قبر العزل الانفرادي) فقد بدأت جولة جديدة من جولات الصراع، صراع الشهيد الحيّ ضد العدوّ الصهيوني، بل صراع العدوّ الصهيوني ضدَّ الشهيد الحيّ، وهذه الجولة تختلف كثيرًا عن جولة الصراع التي خاضها

أمير الظل في الميدان وفي قبو التحقيق، لذلك فإنّ طريقة كتابتي لهذا الجزء من سلسلة (مهندس على الطريق) تختلف كليًا عمّا سبق، فهي كتابة أشبه ما تكون بالعصف الفكري الذاتي، وأقرب ما تكون إلى معركة بين القلم.. قلم الرصاص، والورق.. ورق الحياة والموت.

فلا حديقة غناء أنظر إليها وأنا أكتب، ولا تغريد بلابل يملأ المكان، إنما جدران قبر سوداء قاتمة، وصوت الصمت القاتل يملأ المكان، لذلك عذرًا منك أخي القارئ وأختي القارئة على سوداوية المكان الذي أكتب منه. فليس المكان بستانًا، إنّما هو سجن وسجان.

للكتّاب طقوس وعادات يمارسونها قبل الكتابة، فمثلًا الأديب الأمريكي (إدجاريو) كان يضع قطته الصغير على كتفه، ويستمع إلى موائها، ويحرص على ألّا تهبط أو تقع من فوق كتفه على الورق الذي يكتب عليه، فهو يقاوم نزولها ويمنع سقوطها، وفي الوقت نفسه لا يتوقف عن الكتابة، أي أنه كان يخلق لنفسه نوعًا من التوازن المصطنع.

أما أنا فلا أملك قطة، ولا أحب مواء القطط، إلا أن الله (عزوجل) أنعم عليّ بالتوازن الروحي الذي حصلت عليه من خلال قراءتي للقرآن الكريم، واتباعي لكتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام... وهذا هو التوازن الطبيعي.

أما الأديب الفرنسي (بلزاك) فقد كان يشرب ما بين ثلاثين إلى خمسين كوبا من القهوة أثناء ممارسته للكتابة بشكل يوميّ.

أما الشهيد الحيّ فلا يملك قهوة ولا شايًا ولا عصيرًا، إنما يملك ماء أصفر نازفا من صنبور الماء الميت، فصنبور الماء في زنزانة العزل الانفرادي يرفض السماح للماء بالاندفاع منه، صنبور غبيّ معطّل بفعل يد السجّان الحاقد، وذلك حتى يمارس السجان الصهيوني ساديّته المستمدة من حيوانيته المتجذرة فيه حتى النخاع.

وبعيدًا عن السجّان الصهيوني اللعين.. كان الأديب الفرنسي (فلوبير) يرتدي ملابسه بشكل كامل من بدلة وربطة عنق وحذاء لامع.. ثم كان يضيء أنوار منزله كلها، حتى يخيّل للناس انه يقيم حفلة أو وليمة كبرى، وإذا سألوه عن ذلك قال: طبعاً هناك حفلة ووليمة كبيرة.. فأنا أحتفل بنفسي لأنني أكتب.

أما طبيب الأديب الفرنسي (ديماس) فقد نصحه أن ينزل إلى الشارع قبل الكتابة ليتمشى ويستعيد حيويته، وبعد ذلك يأكل تفاحة ثم يعود إلى بيته ليكتب.

أما مهووسة تدخين السيجار الشاعرة الأمريكية (إيمي ليل)، فقد قامت بشراء عشرة آلاف سيجار خشية من عدم إيجاد السيجار بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى.

أما هنا في قبر العزل الانفرادي، فلا طقوس للتهيُّؤ للكتابة، فلا سيجار ولا قهوة ولا شاي ولا تفاح ولا بدلات أو ربطات عنق، ولا كراسي مخملية وحدائق غناء وطيور تغرِّد. ولا طقوس تمارس من أجل الكتابة، بل هناك دافع يدفعني بقوة و عنف وشدة حتى أمسك قلم الرصاص وأكتب.

إنه دافع الحاجة للبقاء حيًا، بل للبقاء حيًا وعاقلًا، بل للبقاء حيًا وعاقلًا ومقاومًا منتصرًا، فحاجتي للانتصار على هذا العدو الصهيوني هي الدافع الأقوى لبقائي حيًا ممسكًا بقلم الرصاص المقاوم، فبعد أن أبعدني عدوّي عن بندقية بارود الرصاص، ما عاد لديَّ سوى قلم الرصاص المقاوم حتى أواصل المقاومة لتحقيق الانتصار بعون الله تعالى وتبارك.

وهنا أقول: أُشهد الله عليَّ بأنني أتعامل مع الكتابة على أنها فريضة دينية مقدسة، كيف لا وهي تعتبر وسيلتي الوحيدة للجهاد ضد المحتل الصهيوني الغاصب، فقلمي بندقيتي...وأحرفي رصاصاتي.

أحيٌّ أنا أم شهيدٌ؟!

أحبُّ ولا أحبُّ

أحبُّ التاريخ ولا أحبُّ التأريخ ..

أحبُّ التاريخ لأنه يعني معايشة الأحداث، والانفعال معها وبها والكتابة عنها وبها، فالتاريخ هو الأدب والإبداع والفن الصادق، وهذا ما لا يستطيعه الأساتذة والمؤرخون.

ولا أحبُّ التأريخ لأنه يعني امتلاك الوثائق والمستندات، ثم تنظيمها وترتيبها وتبويبها، واستخراج خريطة لمسارها من الماضي.. إلى المستقبل.

وهذا ما لا أستطيعه في قبر العزل الانفرادي، أي لا أستطيع الكتابة التأريخية، لكنني أستطيع الكتابة التاريخية، لذلك أحبها فهي ما أملك، فأنا أحبُّ ما أملك وأعمل فيه ريثما أملك ما أحبُّ.

الشهيد الحيّ

أحبُّ التاريخ ولا أحبُّ التأريخ ..

سكرات الموت

أصحيحٌ أن للموت سكرات تصاحبه (قبله وعنده وبعده)؟!

فإن كان هذا صحيحًا فبأي مراحل السكرات أنا؟!

لا أعرف، نعم، لا أعرف.. فأنا لست من الذين يدَّعون المعرفة بكلّ شيءٍ (أبو العرّيف)، فإن لم أكن أملك جوابًا لسؤال، فإني أقول لا أعرف بكل بساطة وسهولة، دون خوف من أن أوصم بالجهل وقلة المعرفة.

لكنني أعرف أمورًا أخرى مثل: هل الورق الذي أمامي ميتٌ أم حيٌّ، وهل هناك سكرات موت تصاحب موت هذا الورق؟!

إنّ الورق الذي أمامي ميت، دون سكراتٍ تصاحبه عند موته، بل هناك سكرات حياة ستصاحبه بمجرد أن أخطَّ عليه عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم)، عبارة تعلن انبعاث الحياة في هذا المولود الورقيّ، وتعلن ميلاد كتابٍ جديدٍ.

ميلاد الأوراق وموت أقلام الرصاص، فمع كلّ حرف وكلمةٍ وجملةٍ أكتبها تكبر الأوراق وتنضج، وتصغر الأقلام وتنصرم حتى تموت! تموت لتحيي الأوراق وكاتبها، ومادامت الأوراق حيّة فأنا حيٌّ، وما دمت أسيرًا فأنا الشهيد الحيّ، لذلك فلا سكرات موت تصاحبني (قبل الموت، أو عنده، أو بعده)، فأنا الشهيد الحيّ، الذي لم يشأ الله له الموت، فالله (سبحانه وتعالى) أمره بين الكاف والنون، فإن قال للأمر كن.. فيكون.

أوراقي التي تسعى لقتل أقلامي تحتاج إلى الأفكار والذكريات، حتى تنطلق اليد بكتابة الكلمات بعد أن يعصف بها الفكر، وعندها يدرك قلم الرصاص أن موته قد حان، وأنه دخل في دوامة سكرات الموت الثلاثية (قبل وعند وبعد).

إن بداية الحياة والممات لهذه الأوراق وتلك الأقلام، مربوطة بشكل مباشر بالعصف الفكري الذي يدور داخل عقلي، ففي عقلي شخصياتٌ وأفكارٌ وذكرياتٌ، يجب أن أوقظها حتى تبدأ العمل بجد وبسرعة، قبل أن يستيقظ السجّان ويحرق الأوراق والأقلام.

استيقظْ أيها الطاووس قبل أن يستيقظ السجّان..

وأنت أيتها السوسة، استيقظي قبل أن يستيقظ السجّان..

أنتَ وأنتِ.. بل أنتم جميعًا.. استيقظوا لنبدأ معًا عصفنا الفكريّ، لعلّنا نقتل الأقلام ونحيي الأوراق لتحيي الضمائر الحيّة والميتة! لعلنا نؤدي واجبنا الجهاديّ كما أمرنا المولى (عزّ وجلّ)، لنفعل ذلك كله قبل أن يستيقظ السجّان، فسجّاني ليس إنسان بل حيوان بلا إحساس أو ضمير أو شعور فهو من إخوة القردة والخنازير.

فلنقتل الأقلام ونحيي الأوراق

الطاووس البليد

استيقظ أيها الطاووس، استيقظ يا رمز الغرور والأنا الغبية الدنيئة، استيقظ أيها المغرور المباهي وافرد ريشك الملون الزاهي، هيا قم من نومك.. قم قبل أن أقيم قيامتك، وأشيّع جنازتك.

قم يا من لا أسف على موته، ولا حزن على فراقه، ففراقك عيد، والبعد عنك يجعل الإنسان السويّ سعيدًا، قم أيها المغرور المباهي، قم أيها الطاووس البليد.

حاولتُ وحاولتُ أن أوقظ طاووس الغرور البليد الساكن داخل جسدي، إلا أنه رفض الاستيقاظ، وضرب بكل محاولاتي عرض الحائط، ورغم ذلك لم أيئس ولم أتوقف عن المحاولة مهما طال الأمر.

لقد كبّدني هذا الطاووس البليد المغرور ألم جسدٍ، ما كنت بحاجة إليه أثناء تحقيق الصهاينة معي هناك في القدس.. داخل قبو التحقيق.

هناك داخل القبو استيقظ طاووس الغرور معلنًا أنّه ما عاد من فئة الدجاج صاحب الريش الجميل، إنما هو صقر جارح من أصحاب المخالب والمناقير الجارحة القاتلة، حاولت إسكاته، لكنّه كان أشدّ منّي عنادًا... صاح.. وصاح بوجه المحقق الصهيوني قائلا له بصوت لم أعهده عليه من قبل:

«اسمع أيها الصهيوني المحتل الجبان، إذا ما أردت أن تكسّر المزيد من العظام فكسّر، وإذا ما أردت أن تمزّق من جلد هذا الجسد فمزّق.. ومزّق، إلا أنك لن تحصل من صاحب هذا الجسد على ما تريد من معلومات، فصاحب هذا الجسد هو سيد المكان، يا عبد كلّ زمانٍ.»

عندها أحضر المحقق الصهيوني المزيد من المحققين والجلّادين الساديين، و بدؤوا جولة جديدة من جولات التحقيق المصحوب بالتعذيب الإجرامي فمزّقوا الجلد.. وكسّروا العظم، ورغم ذلك واصل الطاووس البليد (الصقر الجارح) تبجّحه متجاهلًا شدة الألم وقسوة الجراح في جسدي الهازل المسكين.

وكيف لطاووس الغرور البليد أن يأبه لآلام الجسد النازف، وهو من ساكني جوف النفس، وهذه النفس لا تتألم إلّا إذا انجرح كبرياؤها..أو خدش أحدٌ ما كرامتها.

كم هو غبيٌّ ذلك الطاووس المغرور! وكم هو جبان!

فلو كان من الشجعان لاستيقظ الآن.. الآن.

الآن .. وهنا .. في زنزانة قبر العزل الانفرادي، وذلك حتى أمسك به وأنتف ريشه، بل حتى أحاكمه وأعدمه؛ على ما سبّبه لجسدي من الآلام الموجعة القاتلة؛ فذلك الطاووس الغبي عندما كان يتحدّى المحقق الصهيوني، كان يتحدّاه وكأنّ جسدي لا يمّت له بصلة، وذلك يعود لأنّ طاووس الغرور يسكن داخل جوف النفس..

إذاً فلتستيقظ يا جوف النفس.. لتيقظ طاووس الغرور.

وما هي إلا ثوانٍ معدودةٌ حتى استيقظ جوف النفس وأيقظ الطاووس الذي كان يغطّ بالنوم العميق، نومٌ أشبه ما يكون بالنوم الصامت.

استيقظَ الطاووس نافشًا ريشه ونظر إلى عينيّ وقال: « ماذا تريد منّي يا من أسميت نفسك بالشهيد الحيّ؟»

رددتُ على الطاووس وقلت: « أريد أن أصفعك، وأن أحاكمك وأجلدك، ثم أقوم بإعدامك بعد نتف ريشك.»

ازداد الطاووس انتفاخًا ونفشًا لريشه وحدّق في عينيّ بشكلٍ مستفزٍّ فجٍّ وقال: «افعل ما تشاء، فأنت الآمر الناهي الأوحد!»

ألا تخاف مني أيّها الطاووس المغرور؟!

كيف أخاف منك وأنا منك وإليك؟! ألست من ساكني جوف نفسك، ونفسك منك وإليك؟!

إذاً، أنا الآخر منك وإليك.

أيها الطاووس المغرور، معاذ الله أن تكون مني أو أكون أنا منك! فأنا منك براء، وأدعو الله لغرورك الفناء.

في هذه اللحظة تحول لون الطاووس للّون الأبيض المبهر المنير، وقال بكلّ أدب واحترام: «اسمع يا ابن الإخوان وحماس والقسام، اسمع يا ابن الإسلام، ألست أنت من ردّ على من اتّهمه بالغرور في تلك التساؤلات التي أجبت عنها في فصل (قلم مهندس العقول) الذي صدر عنك في كتاب (أقلام البندقية - الحمساوي)، حيث أجبت عن تلك التهمة فقلت:

«اسمع يا من تتهمني بالتكبر والغرور، اسمع أيها المسكين الساذج الذي لم يدرك أنني ابن حماس والقسام، ابن الحركة التي تؤمن أنّ الإسلام عقيدة استعلاء، وأنّه من أخص خصائص تلك العقيدة الاستعلائية، أنها تبعث في روح المؤمن المجاهد إحساسًا بالعزة في غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور بالاطمئنان في غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة لهذه القطعان الضالة، وهدايتها إلى القيم والطريق السويّ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان، فأنا لست متكبرًا أو مغرورًا، بل عزيزًا على الكافر والمحتلّ، وذليلًا للمسلم وعليه.»

ألم تكن تلك هي إجابتك التي تؤمن بها وتعمل؟! إذن لماذا أنت غاضبٌ عليّ .. أيها المعتوه؟!

نعم، أنت معتوه.. يبدو أن تعذيب الصهاينة لجسدك قد أصاب عقلك بالعته.. يامعتوه!

دعني أكمل.. وإياك أن تقاطعني، فأنا من يحق له الغضب لا أنت، فكيف لك أن تصفني بالطاووس المغرور!

فأنا نفسك الساكنة جوفك، فأنت كالقط بسبع أنفس وأرواح، كل واحدة تسكن جوف الأخرى.

لست طاووسًا بليدًا متكبرًا مغروراً، فأنا الصقر الجارح.. الصقر الذي تربّى على عقيدة الاستعلاء الإسلامية، فإياك ثم إياك أن تنسى ذلك يا ابن القسام والإسلام.

ما إن رمش جفن عيني، حتى كان الصقر الجارح قد اختفى من أمامي معلنًا انتصاره عليّ.. بكل بساطة.. وأنا من ظننتُ نفسي القاضي والجلّاد، فإذا به هو القاضي وصاحب الحجّة والانتصار، أولم ينتصر على المحققين الصهاينة وجلّاديهم المجرمين، بالرغم من ألم جسدي؟!

ألم يتحدّاهم ويسخر من ضعفهم أمام إرادته القويّة الصلبة التي لم تهن أو تضعف؟!

نعم.. وربّ الكعبة لقد انتصر الصقر الجارح في معركة التحقيق، دون مبالاةٍ بالعظام المكسورة، ولا بالجسد الممزّق النازف.

انتصر وأنا الذي كنت أظنه طاووسًا مغرورًا، فإذا به صقرٌ قساميٌّ جارحٌ..

فعذرًا منك يا صقرًا من صقور العقيدة القسّامية الإسلامية الاستعلائية، وهم وربّ الكعبة كثر.

صقرٌ جارحٌ لا طاووسٌ مغرورٌ بليدٌ

السوسة اللوامة

سوسة الوسواس الخنّاس..

استيقظ من نومك وسباتك يا ميتًا دفن نفسه بيده.. وبفعله وحماقته.. قم وقفْ ثابتًا على قدميك، وانفض حالة الهذيان التي تعتريك حتى الثمالة منذ زمن بعيد.

قم أيها الميت المدفون، بجوف قبرٍ من أحقر القبور، انهض فقد حان وقت الحساب، حساب النفس للنفس في جوف النفس.

فتحتُ عينيّ باحثًا عن صاحب الصوت الخافت فإذا هي سوسة صغيرة ضئيلة، تروح ذهابًا وإيابًا بشكل مضطرب، يدلّ على غضبها من أمرٍ ما، أمرٍ أكبر بكثير من حجمها الضئيل.

- يا دفينةَ جوف النفس، يا سوسة اللوم والعتاب، لماذا تهمسين بصوتٍ خافتٍ؟! وما الذي تريدينه مني؟!
- أهمس همسًا لا صياحًا حتى لا تعتب عليَّ أو تلومني على إزعاجك في نومك الهانئ! أما الذي أريده منك فهو ببساطة إعلامك أنني انتصرت عليك، فلتعلن هزيمتك الساحقة ولتنكفئ على ذاتك أيها الواهم الحالم!
- عن أيّ انتصار تتحدثين يا سوسة اللوم والعتاب، وأيّة هزيمة تلك التي تدّعين تحقيقها عليَّ، أغبيّةٌ أنت أم أنّ هذا القبر قد أفقدكِ عقلك، هذا إن كان عندك عقلٌ أصلًا.
- لا تجعل مرارة الهزيمة تفقدك الواقعية، تلك الواقعية التي حاولت مرات عديدة أن أعيدك إلى جادتها، أي إلى جادة الصواب الواقعيّ أيها الحالم الواهم.
- أكملي يا وسواس جوف النفس.. أكملي يا وسواس السوء واللوم والعتاب.

أولًا: اعلم أني لن أردّ على إساءتك لي، فللمهزوم المنكسر أن يقول ما يشاء.

ثانيًا: اعلم أنّ مجرّد قبولك لسماع ما عندي، يعني أنني أسير على الطريق الصحيح، نحو إثبات أني على صواب، وأنّني المنتصرة عليك وأنّك المنهزم المكسور، ألا يكفي جلوسك أمامي كالتلميذ أمام الأستاذ ليكون دليلًا على صحة قولي!

الأستاذ أنا.. أنا السوسة المظفّرة وأنت التلميذ الحالم الواهم.

إن صمتك يدلّ على انتصاري، فليس لديك ما تقول.. فصحيفتك قد رُفعت بعد أن جفّ قلمك وانكسر.

ألم أقل لك دعك من فلسطين وقدسها وأقصاها؟!

دعك من الحجارة والطين، وعد هناك.. خلف البحار..

إلى كوريا.. أرض السمن والعسل.. أرض الحضارة والرقيّ والتقدّم التكنولوجي.

ألم أقل لك اترك قريتك الغبية مقطوعة الكهرباء والماء والهاتف؟!

واحمل حقيبتك وعاودْ تنقّلك في دول العالم الأصفر.. تلك الدول الآسيوية ذات الشعوب الصفراء الجميلة..

عد إلى الصين واليابان.. عد إلى الكورية..

ألم أقل لك مرارًا وتكرارًا عدْ إلى زوجتك السابقة في سيئول.. ودعك من فلسطين.. دعك من أرض النار والدمار.. أرض القتلى والموتى والأسرى والمعتقلين..

دعك من لظى الجهنّم الفلسطيني.. وعد إلى نعيم الجنة الكورية حيث المال والعزّ والحياة..

حيث الكهرباء المتّصل والماء المتواصل.. والهاتف والإنترنت والساتلايت..

ألم أقل لك كل ذلك؟! أيها الحالم الواهم، عندما هممت بعبور الجسر الموصل من الأردن إلى إسرائيل، نعم، إلى إسرائيل.. تلك التي ما إن نطقتُ باسمها حتى ركلتني ركلةً كادت أن تقضي عليّ.

إسرائيل التي أصبحت واقعًا وثابتًا من الثوابت، بل إنّها قد أصبحت الأعجوبة الثامنة التي أضيفت إلى عجائب الدنيا السبع..

ألا تذكر كيف باع وخان وهادن فرعون مصر (أنور السادات)، فرعون أعجوبة الأهرام الذي ذبح الإخوان المسلمين.. تمامًا كما ذبحهم الفراعنة المجرمون (فاروق، وعبد الناصر، وحسني مبارك)، بل تمامًا كما ذبحهم ويذبحهم فرعون هرم الانقلاب (عبد الفتّاح السيسي)، الذي نصب المشانق وأقام المحارق لكلّ من قال: «لاإله إلّا الله، محمّد رسول الله»، لكلّ من جاهد وقاوم ضد إسرائيل.

(إسرائيل) أيّها الحالم الواهن الظانّ أنّه قادرٌ على القضاء عليها والانتصار، بواسطة بندقية أو عبوة ناسفة، أو حزام يزنّر به الاستشهاديّ.

أتظنُّ أنك قادر على مواجهة دبابة بحجر.. وطائرة بمقلاع .. وجيش منظم يعتبر من أقوى جيوش العالم ببعض الشباب الواهم الحالم المتهور.

غبيٌّ واهمٌ أنت.. وأنا السوسة الواعية العاقلة الذكيّة.. التي ترى ما لا تراه ..

ترى واقعًا جليًا يا حالمًا واهمًا.. يا دفينًا في زمن الدفائن الذهبية!

ألم أقل لك أنّك إلى الموت تسير.. وإلى المصير المجهول تطير؟!

أين ربطة عنقك؟! وأين حذاؤك اللامع؟!

يا من غدا اليوم كتلة من الدم النازف، ما عدتُ قادرةً على تمييز جوارحه.. فضلا عن تمييز ملامحه.

ياليتك إلى كوريا عدتَ.. وإلى فلسطين ما دخلتَ.. فدخولك إلى أرض النار والدمار فلسطين يعني الدخول في صراع لا ناقة لك به ولا بعير..

تاجرًا كنت تبيع وتشتري.. أمّا اليوم فما أنت سوى بقايا حطام.. لا تباع ولا تشترى.. فحطامك بلا قيمة في زمن الدولار والدينار... بل في زمن الدرهم والريال، زمن من باعوا منذ زمن بعيد.. فأصحاب الدرهم والريال هم أول من هادن وباع، وأول من تآمر على الإخوان المسلمين وحماس والقسام.

ألم ترَ بعينيك (كازينو القمار) في أول محرَّرة فلسطينية اسمها (أريحا) ورائحتها النتنة قد فاحت منذ أن دخلها (غراقدة أوسلو وأذناب التنسيق الأمني المقدَّس)؟!

ألم ترَ كازينو القمار؟! ألم ترَ أمراء الدرهم والريال والدينار وهم يترنّحون تحت أقدام العاهرات اليهوديّات الفاتنات.. هناك في صرح السيادة الغرقديّة الأوسلوية الأول؟!

أم أنّك كعادتك أغلقت عينيك وقلت: «معاذ الله!» وفررت من المكان.. مكان سيد الزمان الصهيونيّ وعبده الغرقديّ.

أعلمُ أنّك من المكان قد فررت، لكنني لا أعلم لماذا إلى عمّان ما عدتُ؟!

أصحيحٌ أنّ علبة البيرة هي أوّل ما فجّرت؟! لتعاقب السكارى المقامرين؟

أم أنّ هناك قصةً أخرى عن علبة البيرة المتفجّرة تلك؟! قصة الفتاة المتحرّرة!! التي ما كان لها أن تكون لولا هداية رب العباد والكون.

قبرٌ من الأسرار أنت، فمت بقبر العزل الذي اخترت.. أولست من اختار درب النار والبارود ليحرّر الدار من شعب الله المختار؟! عذرًا أيها الحالم الواهم الذي يرفض الاعتراف بالشعب اليهوديّ المختار! أولم يعترف الأعراب والأوسلويون بشعب الله المختار؟! أم أنّك تجهل حقيقة الغرقد، غرقد الشجر والبشر؟! الذين زرعهم اليهود ليحموهم من أمثالك المتهورين.. ألا ترى كيف يسبّح أذناب أمن أوسلو بحمد اليهود؟!

ألم تدرك بعد أن عقيدة غراقدة أوسلو تقوم على الولاء التام للشعب اليهودي الهمام؟! أم أنّك نسيت شعار عباس حين صاح ونادى أن لا شيء يعلو فوق صوت التنسيق الأمنيّ المقدّس.. ألم تسمعه يقول نحن العبيد وهم الأسياد؟!

لسنا عبيدًا لهم، لا وربُّ الكعبة، ولا الصهاينة أسيادٌ لنا، فنحن عبيد الله الذين لا يركعون لأحد سواه..

والله إنكِ سوسةٌ لوّامةٌ غبيّةٌ، سوسةٌ لا تقلُّ غباءً عن ذلك الغبيّ العبثيّ صاحب التنسيق الأمني، عبد بني صهيون، ذلك المرجف الوسواس الخناس.

اسمعي وعي أيتها السوسة اللوامة الموسوسة، ما سوف أقوله لكِ، وليسمع جوابي لكِ ذلك المرجف الموسوس المذموم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ١ - ٦).

لقد ذكر المفسرون الأفاضل في تفسير هذه السورة الكريمة ما يأتي:

«هذه السورة هي إحدى المعوذتين الأولى الفلق وهذه الناس، والأولى اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي: من شر كل ذي شيء من سائر الخلق، والثانية: من شر ما يحدث في الظلام ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب، والثالثة: من شر السواحر النفاثات في العقد، والرابعة: من شر حاسد إذا حسد. وقد اشتملت هذه الأربع على كل ما يخاف لأذاه وضرره.

أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد، إلا أنه أخطر من تلك الأربع وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء، وإذا صلح صلح كل شيء، ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

فقوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾ أمر منه تعالى لرسوله وأمته تابعة له، أعوذ: أي أتحصن برب الناس أي خالقهم ومالكهم وإلههم الذي لا إله لهم سواه.

﴿من شر الوسواس﴾ الذي هو الشيطان الموسوس في صدور الناس وذلك بصوت خفيّ لا يسمع فيلقي الشبه في القلب، والمخاوف والظنون السيئة، ويزين القبيح ويقبح الحسن، وذلك متى غفل المرء عن ذكر الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿الخناس﴾ هذا وصف للشيطان من الجن، فإنه إذا ذكر العبد ربه خنس أي استتر وكأنه غاب ولم يغب، فإذا غفل العبد عن ذكر الله عاد للوسوسة.

وقوله تعالى: ﴿من الجنة والناس﴾ يعني أنّ الموسوس للإنسان كما يكون من الجن يكون من الناس، والإنسان يوسوس بمعنى يعمل عمل الشيطان في تزيين الشر وتحسين القبيح، وإلقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة.

حتى إنّ ضرر الإنسان على الإنسان أكبر من ضرر الشيطان على الإنسان، إذ الشيطان من الجن يطرد بالاستعاذة وشيطان الإنس لا يطرد بها، وإنما يصانع ويُدَارَى للتخلص منه.»

اللهم إنّا نعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر الإنس والجن، فأعذنا ربّنا فإنه لا يعيذنا إلا أنت، ربنا ولك الحمد ولك الشكر سوسةٌ لوّامةٌ موسوسةٌ أنت، تمامًا كذلك الوسواس الإنسي الخنّاس، لذلك وجب عليَّ إذا ما أردتُ الانتصار عليكما أن أستعيذ بالله منكما، يا شياطين الجنّ والإنس، ووجب عليَّ التحصُّن والاستجارة بالله (عزّ وجلّ).

واعلمي يا سوسة الوسواس الخنّاس أنّ المولى (تبارك وتعالى) قد علّمنا في هذه السورة رحمةً بنا كيفية الاستعاذة من شياطين الإنس والجّن، وعرفنا أنه بصفاته الثلاث: (الربوبية، والملك، والألوهية) يحمي المستعيذ به من شرور الشيطان وأضراره في الدين والدنيا والآخرة. ومعنى الربوبية يدل على مزيد العناية وحرص المربي.

سوسة لوّامة مهزومة أنت، كيف لا وأنا قد وصلتُ إلى حيث أريد، على الرغم من وسوستك، أنا هنا في جوف قبر العزل الانفرادي، وهذا هو الأمر الطبيعي لمن قرّر المقاومة والجهاد في سبيل الله، فمصير المجاهد إلى الشهادة أو النصر أو الأسر. والأسر (بعون المولى عزّ وجلّ) مآله الحرية، فلا تنسي يا سوسة الوسواس الخناس يا توأم المذموم، أنّني وبحمد الله ابن الجماعة والحركة والكتائب الربانية.. كتائب القسّام التي حرّرت الأسرى في صفقة (وفاء الأحرار١)، وسوف تحرّر من بقي منهم في صفقة (وفاء الأحرار الثانية) وهذا أمرٌ محتومٌ بإذن الله، ذلك أن أبناء جماعة الإخوان المسلمين، وأبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وأبناء كتائب الشهيد عزالدين القسام، قد أقسموا بمن رفع السماء وبسط الأرض على أن يحرّروا المجاهدين من سجون الصهاينة اليهود، ومن سجون غراقدة أوسلو وأذناب أجهزة التنسيق الأمني المقدس، وقد أعدّوا.. واستعدّوا..

وخير دليل على إعدادهم واستعدادهم ذلك النصر العظيم الذي حقّقوه على العدوّ الصهيونيّ المجرم في حرب (حجارة السّجّيل)، ففي تلك الحرب أعزَّ الله -عزّ وجلّ- الجماعة والحركة والكتائب بنصرٍ من عنده.. نصرٍ ربّاني، بعده بإذن الله نصر وانتصارات.

سوسةٌ غبيةٌ لوّامةٌ ابتلاني الله بكِ تماما كما ابتلى الشعب الفلسطيني بالوسواس الخنّاس المذموم، الذي يوسوس جهارًا نهارًا بأن لا طاقة للشعب الفلسطينيّ، ولذلك على الفلسطينيّ أن يقبل بصدرٍ رحب عبوديّته للمحتلّ الصهيونيّ وأن يسبّح بحمد شعب الله المختار، فذلك هو خيار قاتل الانتفاضة ووائدها، فذلك هو غرقد البشر، الذي يحمي المحتلّ اليهوديّ تمامًا كغرقد الشجر، الذي سيحمي في آخر الزمان اليهود من المجاهدين المسلمين.

رحم الله القائل:

اقتلوني مزّقوني ... أغرقوني في دمائي
لن تعيشوا فوق أرضي ... لن تطيروا في سمائي
أنتم رجس وفسق ... أنتم سرّ البلاء
أنتم كفر وغدر ... نهجكم حجب الضياء
سمّكم ما زال يسري ... كأفاعٍ في خفاء

****

كتب القتال عليكم يا أخوتي ... والله يعلم ما يضرّ وينفع
والنفس تكره أن تقاتل عادةً ... إن كان للأهواء رأيٌ يسمع
والنفس تكره ما يكون لخيرها ... من غير علمٍ والحقيقة تسطع

اعلمي يا سوسة الوسواس الخناس، أنّي بعون الله المنتصر، وأنّك المذمومة المدحورة الخاسرة.. كيف لا وأنا رغم السجن والسجان، ورغم الظلم والظلام، أمسكتُ قلم الرصاص كي أجاهد بالكلمة غير آبهٍ بمحتلٍّ صهيونيٍّ، ولا غرقديٍّ أوسلويٍّ، وغير خاضعٍ لكِ يا سوسة الوسواس الخناس.. بل أنتِ من خضعتِ وانكفأتِ إلى جوف النفس، حيث القبر الذي سأدفنك فيه.. قبر لا خروج لكِ منه.

أما قبري، قبر العزل الانفرادي فقد بدأ رجال القسّام كسر أقفاله، وهدم جدرانه بعد أن داسوا السجّان، وداسوا جيش الاحتلال الصهيوني المرّة تلو المرّة.

اللهم انصرني على الوسواس الخنّاس.. اللهم انصرني على المذموم.

من قبر العزل أُكبِّر وأقول:

الله أكبر الله أكبر،

الله أكبر ولله الحمد،

الله أكبر والله غايتنا،

الله أكبر والرسول قدوتنا،

الله أكبر والجهاد سبيلنا،

الله أكبر والموت في سبيله أسمى أمانينا،

الله أكبر الله أكبر.

أنا بعون الله المنتصر

الآخرون

الجدران والقضبان والنملة والبومة والغراب، والغراب والبومة والنملة والقضبان والجدران ووو..

أدرت وجهي إلى الجانب الأيمن من جسدي وقلت: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»...

ثم أدرته للجانب الأيسر مكرّرًا ما قلت، معلنًا بذلك ختام صلاة الفجر، وبداية الحوار مع الآخرين.

أولئك الآخرون الذين كانوا قد أقضّوا مضجعي منذ الليلة الأولى في هذا القبر الذي دفنني الصهاينة فيه، وأنا الذي كنت أتوقع أن أحصل على القليل من الراحة، بعد تلك الأشهر الستة التي أمضيتها في قبو التحقيق هناك في القدس المحتلة..

هنا في زنزانة قبر العزل الانفرادي، تجمع حولي الآخرون الذين استغلّوا جراح جسدي النازف ليحققوا انتصاراتهم على عقلي وفكري وعقيدتي.

فقال أوّلهم: أنا الغراب... يا غراب الموت، وقاتل الأبرياء.

وقال ثانيهم: أنا البومة .. يا بومة الدمار والخراب، ويا هادم الحجر وقاطع الشجر.

وقال ثالثهم: أنا النملة.. يا نملة العمل المخلص الدائب، يا من حمل همًا أكبر بكثير من قدرته، إلّا أنه قد نجح بحمل أمانة العيّاش يحيى.

وقال رابعهم وخامسهم: أنا القضبان الكثيفة التي ستبقيك خلفها حتى مماتك.. يا ميتا يرفض الاعتراف والإقرار بموته.

أمّا أنا.. فأنا الجدران الغليظة التي سوف تضيّق عليك وتطبق على أنفاسك حتى تشهد حجارتي على مماتك.

جدران وقضبان ونملة وبومة وغراب..

غراب وبومة ونتلة وقضبان وجدران.. وغيرهم.. وغيرهم من أولئك الآخرين، الذين ملؤوا المكان، فغصّت زنزانة قبر العزل الانفرادي بهم بعد أن أحاطوا بي من كل الجهات!

أنفاسي ضاقت.. فظلمة هذا القبر، وظلم هذا السجّان مكّنا عنكبوت الموت من نشر خيوط شبكته التي بدأت تحيط بي وتحاصرني، ناشرةً في الأجواء شرّها وسمومها، التي تفوح منها رائحة الموت..

(غراب الموت)

يا غراب الموت.. أتدّعي زورًا وبهتانًا أنني غرابٌ للموت، وقاتلٌ للأبرياء، والله إنك قد قلبت الحق باطلًا .. والباطل حقًا مبينًا..

أنت غراب الاحتلال القاتل المجرم.. وما أنا إلا مجاهد حمل السلاح إحياءً لشريعة الجهاد ضدّ المحتلّ..

ألا ترى يا غراب الموت الصهيوني أنّك وقومك اليهود قد احتللتم أرضنا فلسطين، ودنّستم قدسنا وأقصانا، وشرّدتم شعبنا الفلسطيني في شتى أصقاع الأرض، بعد أن لفظتكم الأرض يا إخوة القردة والخنازير، يا بني صهيون.. يا غربان الموت، ويا أسياد الفساد والإفساد.

فلسطين التقية النقية، التي دنستموها بعهركم بعد أن احتللتموها بمؤامراتكم الدنيئة، وبمساعدة عبيدكم الغراقدة.. والأذناب.. من صليبيين وأعراب ومتأسلمين.

غرابٌ للموت أنت، يا نتاج الثقافة اليهودية الدموية الإجرامية..

ألا تذكر ما قاله غربان بني صهيون.. ألا تذكر ما قاله (مناحيم بيجن) في كتابه (التمرّد):

«أنّ السلام الوحيد المسموح به مع العرب هو (سلام القبور)، وهو مرادف لـ (سلام العبيد) الذي أشارت إليه التوراة، أم أنك نسيت ما فعله الغراب المجرم (إسحاق رابين) بأطفال الحجارة إبان الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ألم يقم بتكسير عظامهم وسلخ جلودهم قبل قتلهم؟! ألا تذكر ما فعله غراب الموت (شمعون بيريز) الذي قتل أهل قانا المدنيين العزّل؟!

قل يا غراب الموت، ألا تذكر ما فعله الغربان (شارون وباراك وأولمرت ونتنياهو) من مجازر متلاحقة، على مدى أعوام انتفاضة الأقصى المباركة، التي ما كان لها أن تخبو لولا ما قام به عبد الغرقد الملعون، الذي سلّط أذناب أجهزة التنسيق الأمني «المقدّس» على المجاهدين، فقامت تلك الأجهزة المجرمة العميلة باعتقال المجاهدين وتعذيبهم وتقتيلهم.

غرابٌ للموت أنت.. غرابٌ لا يقل سوءًا وإجرامًا عن الغراب الغرقديّ...

ملاحظة في الصميم:

اعلم أخي القارئ.. أختي القارئة أن الغراب الغرقدي قد أمر أذناب أجهزة الأمن الأوسلوية، وتحديدًا جهاز المخابرات الفلسطينية، بتعذيب ابن عمّي (مجد البرغوثي)، إمام مسجد قرية كوبر، ولقد ارتقى مجد البرغوثي شهيدًا جرّاء ذلك التعذيب الدموي الحيواني اللاإنساني الذي تعرّض له على مدى أيّام وأيّام، أمّا تهمة مجد البرغوثي فتتمثّل بكونه مسلمًا ملتزمًا موحدًا مؤمنًا بالعبودية لله تعالى، وكافرًا بعبودية البشر للبشر.

ما إن سمع غراب الموت ما قلته عنه، وعن تشبيهي له بالغراب عباس حتى غضب غضبًا شديدًا، غضبًا أدّى لتساقط ريشه الواحدة تلو الأخرى، وما إن سقطت الريشة الأخيرة حتى لملم ريشه، وانطلق جارًا أذيال الخيبة والهزيمة نحو الجدار الذي احتضنه، فأصبح الغراب صورة مشوّهة على الجدار المشوّه، الجدار الأسود المعتم المعبس.

(بومة الدمار والخراب)

عندها، ركلت بومة الخراب والدمار وقلت لها:

أتتهمينني يا بومة الخراب والدمار، بأني هادم الحجر وقاطع الشجر!

أنا بومة الخراب والدمار أم أنت؟! يا بومة المحتل الذي احتل الأرض، وهدم الدار وقطع الأشجار، ودمّر الآبار.

ألم تدمري مخيم جنين عن بكرة أبيه؟! ألم تقتلي كلّ من فيه؟!

ألا تذكرين يا بومة الخراب والدمار مجازركم بحق قطاع غزة المرة تلو المرة؟!

أوَنسيت عشرات آلاف المنازل التي دمّرتموها في فلسطين؟!

لا تقولي يا بومة الخراب والدمار أنّك نسيتِ آلاف الأشجار التي قطعتموها وحرقتموها..

هل نسيت قلعة جدي التي فجّرتموها محوّلين إيّاها كومة من ركام (الغبار) الذي كان فيما مضى حجارةً وصخورًا؟!

أخذت نفسًا عميقًا محاولًا الرجوع بذاكرتي إلى الوراء، لعلّي أتمكّن من تذكّر قلعة جدّي، تلك القلعة الصغيرة المتواضعة التي أشبه ما تكون ببيتٍ كبيرٍ، بيت يبلغ سمك جداره أكثر من متر، حتى خزائن ذلك البيت كانت كلها محفورةً بقلب تلك الجدران، وكأنها جزء من البناء، البناء الذي حوّله المحتلّ بعد تفجيره إلى كومة من الغبار.

كم حزنت حزن الغاضبين عندما علمت نبأ تفجير قلعة جدّي! فقد وصلني خبر تلك الجريمة الصهيونية بحقّ حجارة جدّي، وأنا هناك بالقدس، داخل قبو التحقيق، وداخل دوّامة التعذيب، ذلك التّعذيب الذي شاهدت من خلاله الموت، فكلّمته وكلّمني، بل إنّني رجوته أن يصحبني معه قبل أن يتركني خلفه كومة من ركام العظام المحطّمة.

كم أمقت الرجوع بالذاكرة إلى تلك الأيّام! وإلى ذلك القبو المقيت، قبو التعذيب والتحقيق، وكم أحبُّ ترديد قصيدة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، التي قالها مخاطبًا الطغاة:

بليت سياطك والعزائم لم تزل ... منّا كحد الصارم المسنون

إنا لعمري إن صمتنا برهة ... فالنار في البركان ذات كمون

تالله ما الطغيان يهزم دعوة ... يوما وفي التاريخ بر يميني

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي ... بالسوط ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حصار فكري ساعة ... أو نزع إيماني ونور يقيني

فالنور في قلبي وقلبي في يدي ... ربي وربي ناصري ومعيني

سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي ... وأموت مبتسماً ليحيا ديني

نعم.. ورب الكعبة لقد بليت سياط الجلّاد الصهيوني والأوسلوي، لكنّ عزائم رجال حماس والقسّام ما بليت، بليت سياط الجلّاد الانقلابي، لكنّ عزائم الأخوان المسلمين ما بليت، ولن تبلى بإذن المولى عزّ وجلّ.

نملة العمل المخلص

قالت لي النملة الحكيمة: «اعلم علم اليقين، أنّك ما زلت ثابتًا على دعوتك متمسّكًا بفكرتك، فخورًا بجهادك في سبيل الله..

واعلم أيضًا أن هذه المحنة وغيرها لم تزدك إلّا ثباتا، ولم يزدك التعذيب إلا إصرارًا على مواصلة عملك الجهاديّ الذي نذرت نفسك له، لذلك لا تحزن فالله معك مادمت معه.. وكن مع الله ولا تبالِ بسواه، ألم تردّد هذه الجملة التي خطّها العيّاش يحيى، فعش معها ولا تنس كيف استشهد يحيى لأجلها، وبقيت هي لتعيش من بعده معك!

مسكينة أنتِ، يا نملة الحكمة والعمل المخلص، مسكينة لأنك ما عدتِ قادرةً على رؤية واقع الحال..

ألا ترين كيف أني ما عدت من حملة اللواء؟! ألا ترين كيف أصبحت مجرّد هشيم خامد؟!

أولست أنت القائل:

تثور النار إن خنقت بالحطب وتحرق كلّ من للحقّ اغتصب

ألست النار التي ثارت على المحتلّ الصهيوني منذ أعوام وأعوام، أم أنّك تظنّ أن الأسود تصبح قططًا عند وقوعها بالأسر؟! كنت نارًا على المحتلّ ومازلت.. وكنت بركانًا يثور ويخبو ومازلت، لكنّك لم تكن يومًا هشيمًا خامدًا أو رمادًا منثورًا.

حكيمة أنت يا نملة الحكمة، ولكن كيف لحكمتك أن تساعدني هنا، هنا في هذا القبر الذي دفنوني فيه، بعد أن حوّلوا جسدي إلى كومة من ركام العظام.

ألا ترين حالي.. افتحي عينيك.. لعلّك تشاهدين الحقيقة.. حقيقة (الجسد الذي ما عاد قادرًا على حمل ما في الجسد)، يا ليت روحي تفارق جسدي، الذي لم يعد قادرًا على حمل همّي وألمي وأمانتي.

يا نملة الحكمة، ما عدتُ صاحب الجسد القويّ القويم، وما عدت القويّ العنيد، وما عادت قدماي قادرتين على حملي من شدّة الألم والجوع والبرد، أوتعلمين أن البرد قد سكن ركام عظامي، وأنّ الدماء قد جفّت في شراييني، قولي بربك هل ترينني؟!

متعبٌ أنا يا نملتي، متعب الجسد والروح والمعنوية، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الصهاينة الظالمون المدى، ونهجوا نهج فرعون وهامان وجنودهما!

والله يا نملتي، إنّ الصهاينة قد استنُّوا بسنّة عادٍ قوم هود، الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا: من أشدّ منا قوة؟! ومن أعزّ منا منعة؟! ومن أكثر منّا مالًا أو سلاحًا وعتادًا؟!

من... ومن...أأنت يا كومة العظام؟!

نعم، قالتها النملة بصوتٍ مدوٍّ، نعم أنت، ألست ابنًا للإخوان وحماس والقسام، أليس الكلّ للواحد والواحد للكلّ، مادام الواحد والكلّ يجاهدون في سبيل الله عزّ وجلّ؟! فأنت ابن للجماعة والجماعة أبٌ لك، فلا تحزن ولا تيئس من رحمة الله ونصره، قم ياعبدالله، قم لتصلّي الضحى، فقد طلعت الشمس، نعم طلعت منذ مدّة، صحيح أنك غير قادر على رؤيتها.. إلّا أنها طلعت، طلعت وسطعت تمامًا، كما سوف يسطع نجم الإسلام من جديد على يد الجماعة.. جماعة التجديد.

قم انفض ألم الجسد، انفض غبار الألم، قم يا ابن العقيدة القسامية، التي تنبع من جوف الروع وتسطع من صميم القلب، قم.. قم فإن عشتَ فللحق، وإن متَّ ففي سبيل الحق، أنسيتَ أنَّ الذهب لا يصدأ، وأن النيران لاتزيده إلّا جلاء وبهاء؟! قم للصلاة لعلّ الله يحيي عظامك، فهو من يحيي العظام وهي رميم.

قم بالله عليك، قم.. فهنيئًا لك..

هنيئا لمن أوذي في سبيل الله، ثم جاهد وصبر، وتبًا لمن آذى المؤمنين، فسيكون عبرة لمن يعتبر.

قم وحوّل قبرك إلى مسجدٍ للصلاة والدعاء والابتهال.. قم لله يا عبدالله.

ما إن نفضتُ غبار الألم وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، ووقفت على قدميّ لأصلّي واقفًا للمرة الأولى منذ أشهر طويلة، بعد أن كنت أصلّي جالسًا لعدم استطاعتي الوقوف، حتى قالت النملة الحكيمة: صدق الله العظيم، صدق الله العظيم، صدق الذي يحيي العظام وهي رميم، صدق الذي يحيي العظام وهي رميم.

قُم فإن عشتَ فللحق، وإن متَّ ففي سبيل الحق

القضبان الكثيفة والجدران الغليظة

قضبان صدئة كثيفة مخيفة، هي تلك قضبان المعزل والقبر الذي دفنوني فيه، أما جدران ذلك القبر المعزول، فهي جدران سميكة، سوداء مظلمة، خشنة الملمس، بغيضة المنظر، وكئيبة المحضر.

كيف لا، وقد تمكّنت تلك القضبان الكثيفة من حجب شعاع الشمس ونورها، وقتلت نسمات الهواء التي كانت تحاول الوصول إليّ، عبر تلك القضبان الصدئة الكثيفة، أما الجدران فكانت منبعًا لرائحة العفونة والموت.

بعيدًا عن جماد القضبان والجدران، وبعيدًا عن البرد القارص والجوع المهلك، فقد وجدت في ذلك القبر ملاذًا آمنًا، ملاذًا ربّانيًا، ما بعده من ملاذ، هناك وجدت حلاوة الإيمان، وبرد اليقين والثبات، وهناك ذقت طعم الخشوع الكامل في الصلاة وفي تلاوة القرآن الكريم.

ففي قلب المحن والشدائد يحسّ الإنسان بضعف قوته وقلّة حيلته، لذلك يهرع إلى الله تعالى، فالإيمان واليقين هما رصيد النفس الروحي، وهما عدّتها وعتادها في المحنة وزادها في الشدّة.

وما أروع ما يصوّر به الإمام ابن تيمية حاله وهو في سجن قلعة دمشق حيث قال: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

إنّما السجين من حُبس عن ذكر ربه، والأسير من أسره هواه.

ويقول ابن تيمية في موطن آخر: إنّ قتلي شهادة، وتشريدي سياحة، وسجني خلوة.

نعم.. وربّ الكعبة، إنها الخلوة التي كنت أحتاج إليها منذ زمن حتى أكون قريبًا من الله تعالى، فخلف تلك القضبان الكثيفة والجدران السميكة وجدت منارة الحياة الروحية العامرة، الحياة التي سبق لي أن عشتها في ساحة المعركة مع إخواني المجاهدين.

في ذلك القبر والمعزل كنت أطرح على نفسي سؤالين لا ثالث لهما: أولهما: إن كان الله معك فمن عليك؟ وثانيهما: إن كان الله عليك فمن معك؟ وإجابة السؤالين كانت واحدة هي: كن مع الله ولا تبالِ بأحدٍ سواه.

مشاعر جديدة تنتابني في ذلك القبر، فما بين رغبة وتمنٍّ على الله بأن يكرمني بالشهادة تحت سياط الجلاد الصهيونيّ في قبو التحقيق، أو في قبر العزل الانفرادي، وما بين السعادة الروحية التي وجدتها هناك؛ بسبب اقترابي أكثر وأكثر من المولى (عزّ وجلّ)، وهذه المشاعر أخذت تنضج بالتدريج، ما إن بدأت حواري مع (أنفُس جوف النَّفس) حتى أدركت من أنا؟ وأين أنا؟ ولماذا أنا؟

عندها قمت بقتل الأنا، وحتى أتأكّد من موتها قمت بإعدامها بعد قتلي لها، وبذلك أكون قد أعدمت ميتًا، أعدمت الأنا، وذلك يعتبر من أهمّ أركان عقيدة المجاهد القائم، فالواجب على المجاهد القائم أن يعدم الأنا التي بداخله، قبل أن يبدأ خطاه نحو مقاتلة العدوّ.

هناك في الميدان أعدمت الأنا البغيضة، فتحوّل العمل الجهاديّ إلى عمل جماعيّ تكامليّ لا فضل لأحدٍ به على أحد، ولا فضل لأحدٍ به على الله (عزّ وجلّ) إنّما الفضل كلّه لله، والعمل كلّه لله، وما نحن إلا عبيد لله، عبيد لا هدف لنا ولا غاية سوى مرضاة الله في علاه.

وهنا أقول أنّ الواجب على كل مجاهد سواء كان في ميدان الجهاد أو في معازل الأسر، أن يقوم بقتل الأنا، قبل أن يبدأ بقتال العدوّ، فلا جهاد إلا بإخلاص النية للمولى، ولا نصر إلا بإخلاص النية، ولا جنّة إلّا بإخلاص النية لربّ البرية.

فالجهاد أمانة يجب ألّا يتقدم إليها إلّا القويّ الأمين المخلص المتجرّد.

إن كان هذا حال الجهاد، فكيف هي الشهادة؟ وكيف هو الشهيد؟!

الشهيد هو المخلص الذي يلهج بالدعاء لله أن يستخدمه ولا يستبدله، يستخدمه في حمل لواء الجهاد، وفي إعلاء كلمة الله، وفي حمل راية الدعوة لله، ولا يستبدله بغيره، فالشهيد هو الدائب المتجرّد،

وهو من قُتل وهو يجاهد أعداء الله في ساحة المعركة، وهناك شهداء غير هذا الشهيد، عددهم كثير، وفضلهم عند الله لا يقلّ عن فضل شهداء المعركة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

اللهم اكتبني من الشهداء.. اللهم اكتبني مع الشهداء.

جميلة حلوة هي الشهادة والجهاد في سبيل الله، نعم، وربّ الكعبة حلوة حلاوة الشهد والعسل. فعلى الرغم من مرارة الأسر، وعلقم قبر العزل، وعذاب قبو التحقيق، وعلى الرغم من كثافة القضبان وسماكة الجدران، إلّا أنّ حلاوة الشهادة قد تمكّنت من اختراق حصون العدوّ الصهيوني المجرم، واستطاعت اجتياز الجدران والقضبان وسياط السجّان لتصل إلى روحي وعقلي وقلبي.

هذه العزلة والمحنة والابتلاء هي من جعلني بفضل الله أدرك إدراك العارفين الموقنين، أن المجاهد الذي كتب الله له أن يكون شهيدًا حيًا في جوف المعتقل أوالأسر أو العزل، هو القادر على أن يكون جسديًا روحيًا، وأرضيًا سماويًا، وإنسانيًا ربانيًا، سواء كان في الميدان أم خلف القضبان!

كيف لا ؟! وجسدي لم يعد قادرًا على منع روحي من التنقل حيث تشاء.

كيف لا ؟! وما عادت الأرض قادرةً على منعي من التحليق عاليًا في السماء.. على الرغم من كثافة القضبان وسماكة الجدران.

قد يعتقد القارئ أنّ ما أكتبه لا يعدو كونه هَذَيان ما قبل الجنون أو الخَبَل، فكيف لمن دُفِنَ حيّاً أن يطير محلّقًا في السماء؟! وكيف لروحه أن تنتقل حيث تشاء؟! بل كيف له أن يمسك بالقلم ليكتب، ويكتب؟!

وهنا أردُّ قائلًا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ (سورة الطلاق: ٢-٣).

نعم، أخي القارئ، فمن يتّقِ الله ويخلص له، ويؤدِّ حقوقه، يجعل الله له المخرج والفرج مما هو فيه من ابتلاء ومحنة.. ففي ذلك المعزل تقرأ القرآن وأنت تعلم علم اليقين أنك بين يديّ الرحمن، أي أنك أصبحت عبدًا ربانيًا بإنسانيتك المتجرّدة.

ولا يعني ذلك أن ربّانيتك تعصمك من الأخطاء البشريّة، ولكن معناها أنّ ربانيتك تعيدك إلى مولاك.. ربّك وخالقك.. كلّما غلبت عليك بشريّتك.

فالمسلم المؤمن الربّاني يعرض على الله ضعفه البشري، ويسأله مغفرة ذنبه وزلّته، فلا يجد إلّا رحمة واسعة، وفيضًا كريمًا، وشمولًا بالعناية والرعاية من قبل الله الذي تاب إليه، وتذلّل له وارتمى في أحضان عفوه ورحمته، فهو الرحمن الرحيم، وهو العفوّ الغفور.

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ ... يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ

وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ ... فَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ

وكم أمرٍ تساءُ به صباحاً ... وَتَأْتِيْكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيِّ

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فَثِقْ بالواحِدِ الفَرْدِ العَلِيِّ

اللهم اكتبني من الشهداء.. اللهم اكتبني مع الشهداء.

الرضا بقضاء الله وقدره

قدّر الله.. وماشاء فعل، نعم وربّ الكعبة، لقد قدّر الله أن أقع أسيرًا بين يديّ العدوّ الصهيوني، فكانت مشيئة الله وأمره وإرادته، فوقعت أسيرًا كما قدّر لي المولى عزّ وجلّ، فما كان منّي إلا أن قلت:

لله الأمر من قبل ومن بعد، لله الأمر من قبل ومن بعد.

إنّ الرضا بقضاء الله وقدره يعتبر من أهم ركائز التوازن النفسي، والثبات الفكري، والانتصار الروحي؛ لذلك نجد أنّ أبناء جماعة الإخوان المسلمين، وأبناء حركة المقاومة الإسلامية حماس، وأبناء كتائب الشهيد عزالدين القسام، يتمتّعون بالتوازن النفسي الموصل إلى الثبات الفكري، الذي يؤدّي إلى الانتصار الروحي قبل الانتصار الحسّي والمادّي.

لقد علّمتني مدرسة الإخوان وحماس والقسّام، كيف أرضى بقضاء الله وقدره، وكيف أواصل جهادي رغم الابتلاء والمحن، وكيف أعيش خلف القضبان حياة الرضا بقدر الله وأمره، وكيف أنتصر بروحي، ريثما أنتصر بجسدي، وأنتصر بقلبي قبل أن أنتصر ببندقيّتي، وأنتصر بكلماتي قبل أن أنتصر برصاصاتي.

فأنا ابن مدرسة الدعوة والتربية الإخوانية الحمساوية، قبل أن أكون ابن كتائب القسّام العسكرية، لذلك فإنّ جذور الإخوان وأغصان حماس أثمرت بنادق القسّام، فمدرسة الإخوان وحماس هي مدرسة الإسلام الحقّ، وذروة الإسلام الحقّ هو الجهاد في سبيل الله..

نعم.. فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام.

لقد كان سلاحي الجهاديّ الأوّل داخل قبو التحقيق الصهيوني، وقبر العزل، هو الثقة بالله وحسن التوكّل عليه، لأنّ ذلك هو وحده الذي مكّنني من الصبر والثبات، وصولًا للانتصار، ففي الثقة بالله شعورٌ دافعٌ، وقوةٌ كامنة تنفي عن المؤمن الشعور بالوحدة الموحشة، وهو في معزله وأسره.

والثقة بالله لا تكون إلّا بالإيمان الراسخ واليقين المطلق بأنّ الله هو الناصر والحامي والوليّ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٧).

لذلك نجد أنّ الإيمان المؤدّي للثقة بالله عزّ وجلّ، يمكّن المجاهد من الصبر على القضاء الّذي قدّره الله تعالى له أو عليه، فالصبر يجعل المجاهد يحسن التصرف في كلّ المواقف، ويواجه المحن والصعاب بقلبٍ مطمئنٍّ وعقلٍ قويٍّ.

فبالصبر يكون العزم والثبات، وبالصبر يكون الانتصار، لذلك فالصبر ضرورة يحتاجها المجاهد والأسير، وليس لهما غنى عنه.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة :١٥٤-١٥٦).

إيمان وثقة.. فنصر بعد نصر

كم يسهل على العين قراءة هذه الكلمات الأربع، ولكن كم يصعب على القلب تطبيقها!

قل لي أخي القارئ.. أختي القارئة: هل أنت قادر على النظر في وجه القاضي والجلّاد الصهيوني الذي حكم عليك بسبعة وستين مؤبدًا، وخمسة آلاف ومئتي عام؟! والقول له: أنا المنتصر، لأنّني الصابر الواثق المؤمن.. أنا المنتصر، لأنّني الراضي بقضاء الله وقدره.

اسمحوا لي أخواني وأخواتي القراء أن أعتذر منكم عن سؤالي الصادم هذا، فأنا أجزم أنّ مجرّد أن يتخيّل أحدٌ أنّه قد يُحكم عليه بمثل هذا الحكم، سيُصاب بالرهبة والصدمة والخوف.

سبعةٌ وستون مؤبّدًا، وخمسة آلاف ومئتا عام.. حكم كبير، لكنّ الله أكبر بكثير..

فكيف لنا أن نقارن حكم البشر بحكم ربّ البشر؟! حكم البشر هو الموت داخل قبر العزل الانفرادي..

وحكم الله.. حكم ربّ البشر الذي أثق فيه وأؤمن به، هو النصر والفرج والتمكين!

يشهد الله أنّني مؤمن بفرج الله ونصره، لأنّني وببساطة شديدة كنت مع الله في ساحة الجهاد والمقاومة، وكنت مع الله في قبو التحقيق، وما زلت مع الله في قبر العزل الانفرادي، ومن كان مع الله لا يبالي بأحد سواه، فكيف لي أن أبالي بحكم اليهود الصهاينة المجرمين، وأنا مع الله الحاكم الآمر الناهي الناصر المعزّ، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة: ٢١).

شرع الله تعالى

المجاهد الذي يقاتل في سبيل الله ملتزم بما جاء في شرع الله تعالى التزامًا كاملًا قدر استطاعته. وما من موطن هو أحوج فيه إلى هذا الالتزام من موطن الجهاد، وما من هدف هو أدعى للالتزام من الجهاد في سبيل الله تعالى.

ولا يسمّى مجاهدًا في سبيل الله، بحالٍ من الأحوال، من كان جهاده للدنيا، وعمله أثناء الجهاد لإرضاء الشيطان، وخضوعه وولاؤه لغير الله تعالى، ولغير دينه، ولغير المؤمنين.

إنّ المجاهد في سبيل الله ذاهب إلى لقاء ربّه، وهو يعلم ذلك ويدركه أكثر من غيره، وهو يجاهد من أجل إعلاء كلمة الله تعالى وإظهارها على الدين كلّه، وهو عبدالله تعالى يسير حسب أوامره ونواهيه، وليس له خيار مع الله سبحانه وتعالى في ذلك.

إيمان وثقة.. فنصر بعد نصر

وداعًا للقدس

من هذه الورقة (وداعًا للقدس.. ومرحبًا بالبداية) تبدأ الحكاية، حكاية الشهيد الحيّ، الذي أمضى عشرة أعوام في زنزانة العزل الانفرادي، وإلى هنا يشهد الله ما كنت أرغب بالوصول، نعم، فأنا ما كنت أرغب بالوصول بهذا الكتاب إلى ما بعد حوار العقل مع « أَنفُسِ جَوف النَّفس».

فعندما قرّرت البدء بكتابة الجزء الثاني من كتاب مهندس على الطريق، والذي أسميته «الشهيد الحيّ»، لم أكن أريد الكتابة عن ذكرياتي في قبر زنزانة العزل الانفرادي، بل كنت أتمنى وأسعى إلى أن تقتصر الكتابة على محور واحد ووحيد، هو محور الصراع النفسي الذي دار بيني وبين الأنفس المدفونة في جوف نفسي لا أكثر ولا أقل.

لذلك أمسكت القلم لأحيي الأوراق الميتة وأكتب، وعندها مات عدد من الأقلام بسبب نفاذ الرصاص منها، وعاشت مئات الأوراق بعد أن أحيتها الأقلام الميتة، تلك الأقلام التي جادت برصاصها وكتبت عن حوار العقل وصراعه مع أَنفُسِ جَوف النَّفس. وأنهت ما كتبته بجملة: تمّ بحمد الله. عندها وجدت نفسي كعادتها تدفعني لقراءة ما كتبت الأقلام، فقرأت وقرأت حتى دُخت وكدتُ أفقد عقلي. لذلك وحرصًا على عقل القارئ الكريم وما بقي من عقل داخل رأسي، وجدت أنّه لا مفرّ من التخلّص من تلك الأوراق، وما بها من فصول وأبواب عديدة، ولم أجد مانعًا من الإبقاء على بعضٍ منها، وهي أقلّ القليل عمّا دار من حوار بين (أَنفُسِ جَوف النَّفس) وبين فكري وعقلي ونفسي.

لقد أبقيت تلك الأوراق القليلة، وقمت بوضعها في مقدمة هذا الكتاب، الذي ولد من رحم ذلك الكتاب وتلك الأوراق، فكتاب «الشهيد الحيّ» الجديد مولودٌ من رحم كتاب «الشهيد الحيّ» القديم، الذي كاد أن يطيح بما بقي من عقل داخل رأسي، وها أنا أمسك بالقلم لأبدأ من جديد.

والبداية الجديدة من هناك من القدس، التي ودّعتها بعد انتهاء التحقيق، الذي دام لمدة مئة وواحد وثمانين يومًا(١٨١)، لذلك وداعًا للقدس ومرحبًا بالبداية، وداعًا للقدس مدينتي الحبيبة، ووداعًا للقدس مركز التحقيق الوحشيّ المقيت.

ودّعت القدس وتمّ اقتيادي لمدينة بئر السبع، في أقصى الجنوب الفلسطينيّ المحتلّ، ففي تلك المدينة الصحراوية يقع السجن المركزيّ لمدينة بئر السبع، وفي داخله عدد من السجون المتعدّدة الاختصاص.

وما إن وصلتُ إلى إحدى تلك السجون وهو سجن (أوهلي كيدار) حتى بدأ مشوار الأعوام العشرة التي أمضيتها داخل قبور زنازين العزل الانفراديّ الموجودة في العديد من سجون الصهاينة التي أقاموها داخل مدننا المحتلة.

ما إن وصلت إلى هناك حتى قام السجّانون الصهاينة بإخضاعي للتفتيش، المذلّ المهين بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، فما كان منّي سوى التحديق بعيون هؤلاء السجّانين الجبناء الذين كانوا يوارون عيونهم من عينيّ اللتين تقدحان شرارًا.

بعد التفتيش.. تمّ وضعي في قبر العزل الانفراديّ، وهو قسم يحتوي على عشر غرف، يسكن داخل كلّ واحدة منها أسير أمنيّ فلسطيني، أو سجين مدني يهودي أو فلسطيني، وهناك التقيت العديد من الأسرى، وكان على رأسهم الشيخ جمال أبو الهيجاء ومروان البرغوثي، وأحمد المغربي، ومحمد حمادة ونزار رمضان وغيرهم، من الأسرى المعزولين في ذلك القسم، وما هي إلا عدة أشهر أمضيتها في زنزانة العزل الانفرادي بجوار أولئك الأبطال حتى تمّ اقتيادي للتحقيق مرة أخرى.

هذه المرة لم يكن التحقيق حول نشاط كتائب الشهيد عزالدين القسام ضد المحتلّ الصهيوني، وإنّما كان حول اختفاء عميلهم الذي أرشدهم إلى مكان تواجدي يوم اعتقالي.

مكثت في التحقيق أسبوعاً واحداً لا أكثر ولا أقلّ، وبعدها لم يعيدوني إلى القسم الذي كان فيه أخوتي الأسرى المقاومون، بل تم اقتيادي إلى داخل قسم العزل الخاص، وهو قسم لا يحتوي إلّا على غرفة واحدة فقط لا غير، ويسمّى هذا القسم بقسم الحراسة المغلقة، وداخل تلك الغرفة يوجد العديد من كاميرات المراقبة، تلك الكاميرات المقيتة التي كانت تراقب كلّ حركةٍ أقوم بها، وكلّ نفس أتنفسه.

لقد مكثت في تلك الزنزانة التي أسموها غرفة رقم (١) لمدة عام وثمانية أشهر لم أرَ خلالها أيّ مخلوق سوى ضابط صهيونيّ واحد وثلاثة جنود سجّانين، كانوا هم المكلّفون بحراستي، ومتابعة أموري، ومراقبة ما أقوم به في تلك الغرفة المعزولة.

وداعًا للقدس.. ومرحبًا بالبداية

قسم الحراسة المغلقة

غرفة رقم (١)

في ذلك القسم، وفي تلك الزنزانة والقبر، تجلّى معنى العزلة التامّة الكاملة، عزلة كان الهدف منها دفعي للعته والجنون، فخلال عامين تقريبًا من وجودي في ذلك القبر المعزول، لم تنطق شفتاي سوى كلمات معدودة، كلمات أكرّرها في كل يوم ثلاث مرّات.

ففي تمام الساعة الخامسة فجرًا تُفتح نافذة صغيرة قطرها نحو عشرة سنتيمترات، ليطلّ من خلالها رأس الضابط الصهيوني، أو رأس أحد الحرّاس، ليقوم بطرح السؤال الممل الآتي عليّ: هل أنت عبدالله غالب البرغوثي؟

أما إجابتي، فقد كانت إجابة مملّة متكرّرة قصيرة باردة.... بل باردة جدًا جدًا: أعتقد أنّني عبدالله..

أو كنت أقول: أعتقد أنني ابن غالب.

أو: أعتقد أنني البرغوثي.

لقد استمرّ الوضع على هذه الحال طوال فترة وجودي في جوف ذلك القبر، قبر غرفة رقم (١).

ولهذه الغرفة حكاية لم تبدأ من عندي، بل بدأت من عند قاتل رئيس الوزراء الصهيوني (إسحاق رابين)، الصهيوني المتديّن (إجال عمير) في نهاية عام ١٩٩٥، فبعد عملية الاغتيال قام جهاز الشاباك الصهيوني مع مصلحة السجون الصهيونية بالعمل على إعداد مكان خاص ليوضع فيه إجال عمير قاتل رئيس الوزراء الصهيوني، ولذلك قاموا ببناء قسم خاص، وفي داخله غرفة واحدة، وهي الغرفة التي وضع فيها قاتل رابين لفترة وجيزة جدًا، مالبث خلالها محاموه المتدينون الصهاينة أن قاموا بإخراجه منها رغم أنف الشاباك ومصلحة السجون!

وبقيت الغرفة رقم واحد تنتظر القادم الجديد، ذلك القادم الذي كان هناك بعيدًا في كوريا الجنوبية عندما تمّت عمليّة اغتيال المجرم (إسحاق رابين)، وكان هناك عندما شاهد على شاشة التلفاز (ياسر عرفات) وهو ينحني ليقبل يد زوجة ذلك المجرم الصهيوني الذي ارتكب بحقّ المسلمين والعرب والفلسطينيين أبشع المجازر الدمويّة.

ما إن شاهدت عيناي ياسر عرفات يقبّل تلك اليدّ بعد أن قرأ سورة الفاتحة على روح ذلك القاتل (إسحاق رابين)، حتى أدركت أنّ فلسطين قد قتلت وماتت على يده وزمرته الانتهازيّة الفاسدة، حين كان لاحقه الغرقديّ يدير مفاوضات أوسلو بالتعاون معهم، وذلك كان آخر مسمارٍ يُدقّ في نعش منظمة (التدجين) الفلسطينية، تلك المنظمة التي اختطفتها قيادة فتح وهرولت لمسار سلام الخضوع والاستسلام، مع العدوّ الصهيونيّ، الذي أصبح هو السيّد المطاع، وأصبحت المنظمة وفتح والسلطة عبيدًا يخدمون السيّد الصهيوني، فأصبح أولئك العبيد غراقدة وأذناب، وظيفتهم حماية الكيان المحتلّ من جهة، ونهب مقدّرات الشعب الفلسطيني من جهة أخرى. وعندها قتل الغراقدة العشرات من أبناء المقاومة، ونهبوا عشرات المليارات من أموال المساعدات التي كانت تقدّم للشعب الفلسطيني.

في زنزانة قبر العزل الانفرادي المسماة غرفة رقم واحد، ولدت فكرة الإمساك بالقلم والكتابة، وذلك حتّى أتمكّن من حماية نفسي من الجنون، فالعزلة قاسية، والانقطاع عن التعامل مع البشر يؤدّي للوصول إلى ما لا تحمد عقباه.. حاولت الحصول على قلم وأوراق، إلّا أنّ الصهاينة منعوني من ذلك.

وعندها قرّرت ان أسطّر الأحرف والكلمات، وأن أصفّ الجمل والقصائد داخل مستودع الذاكرة الموجود في دماغي، أما الطريقة التي اتّبعتها في ذلك فكانت التكرار.. أي تكرار مقاطع الجمل والقصائد المرة تلو المرة حتى أتمكّن من حفظها وتخزينها، إلى أن أتمكّن من الحصول على قلم حتّى أقوم بإفراغ مستودع الذاكرة ممّا فيه.

فعلى مدار العامين اللذين قضيتهما (تقريبًا) في زنزانة رقم واحد، تمكّنت وبعون الله وفضله من كتابة العديد من الكتب الفكريّة والروايات القصصيّة، ويعتبر كتاب ورواية (معتوه في دائرة العقلاء) أول تلك الكتب والروايات التي حفظتها عن ظهر قلب قبل أن أكتبها، وهناك ولدت مجموعة قصصية أسميتها (وهم الراية) وولدت رواية (المقدسيّ وشياطين الهيكل المزعوم).

وهناك كان للجوع طعم الصمت.. نعم لقد كان طعم جوعي في تلك الزنزانة طعمًا جديدًا لم أعهده من قبل، فهناك مرارة الجوع، وقسوة الجوع.. وغيرها من أوصاف الجوع، أما في تلك الزنزانة فكان لجوع جسدي للطعام طعم الصمت، ولجوع عقلي للفكر طعم الصمت، وللصلاة طعم الصمت الخاشع، ولتلاوة القرآن الكريم طعم تلاوة العينين الدامعتين الصامتتين، وطعم صمت الشفتين اللتين لا تنطقان. دموع وصمت.. صمت ودموع عند تلاوة القرآن الكريم، وعند الصلاة، وأداء العبادة.

كان الصمت القاتل هو سيّد المكان في ذلك القبر والمعزل، لذلك كان لتلاوة القرآن الكريم طعم صامت عذب ما بعده طعم، وكان للصلاة والعبادة طعم خشوع لم أذق في حياتي طعمًا أكثر منه حلاوةً، وأطهر منه نداوةً.. فهو طعم صمت الخشوع، وما أدراك ما طعم الخشوع الصامت في زنزانة قبر العزل الانفراديّ!

أما الأفكار فكان لها هي الأخرى طعم صامت كلّه حرّية فكر ومقاومة، وكأنها أفكار بركان صمت برهة من الزمن قبل أن يثور.

في ذلك القبر والمعزل لم يكن يقدّم من طعام إلّا ما يكفي لبقاء جسدي الهزيل على قيد الحياة، إن كانت الحياة في ذلك القبر تسمّى حياة!

وبالرغم من جوع الجسد الهزيل لم أطلب من السجّان الصهيونيّ المجرم زيادة كميّة الطعام طوال فترة بقائي في ذلك القبر والمعزل. فقد كنت أخشى إن طلبت طعامًا لجسدي أن تجوع كرامتي، فجوع الجسد للطعام مصيره الشبع، فإن قدّر الله لي الموت في ذلك القبر وأكرمني بالجنة، فسأجد هناك شبعًا ما بعده شبع، وإن قدّر الله لي الحرية والتحرّر خارج هذا القبر فسيكتب لي بفضله رزقًا من عنده، أما من جاع جوع التخلي عن الكرامة والعزة، فلا شبع له أبدًا.. وإنما الذلة والمهانة هما مصيره الأبديّ المنتظر.

كانت الأيام نهارها وليلها تمضي بحال سبيلها، وكانت كاميرات المراقبة المزروعة في ذلك القبر والمعزل تمضي هي الأخرى لتواصل تصوير كل حركة أقوم بها، لذلك كلّ حركاتي وتصرفاتي متابعة ومرصودة على مدار الساعة، وهذا يجعل من ممارسة الأمور الحياتية اليومية أمرًا بالغ الصعوبة والمرارة، فكيف للإنسان السويّ أن يتعايش مع تلك الكاميرات، والأعين التي تراقبه مراقبة لصيقة، وكأنه كائن فضائي أو حيواني يخضع للفحص والدراسة تمامًا مثل فأر المختبر، فأر التجارب ذي اللون الأبيض الجميل من الخارج، والألم الدفين في الداخل.

فأرًا أرادوني، لذلك فقد عرضوني للجوع والبرد والحرارة والمرض المرّة تلو الأخرى، ليشاهدوا ردود فعلي، وليقتنصوا لحظات ضعفي اقتناصًا. لذلك قرّرت منذ اللحظة الأولى لوضعي بالغرفة رقم واحد أن أتحوّل إلى آلة ميكانيكية، آلة لا تجوع ولا تبرد ولا تتألم من مرض، وتمّ ذلك من خلال محافظتي على برنامج للحياة اليومية، أمسي مثل يومي، ويومي مثل غدي، وكان الأسبوع مثل الأسبوع، والشهر مثل الشهر، ويومي الأخير كيومي الأول.

كانت عيناي تقدح شرارًا عندما وضعوني في ذلك القبر، وكانت تلك النظرة التي حافظت عليها طوال فترة وجودي في ذلك المعزل، نظرة غضب تحرق بشرارها أعين الصهاينة المتلصصة الخبيثة.

وفي ذلك القبر والمعزل منع جهاز الشاباك الصهيوني المحامين من مقابلتي، وذلك من خلال رفض مصلحة السجون إعطاءهم التصاريح اللازمة لزيارتي، ومنع موظفي اللجنة الدولية للصليب الأحمر من معرفة مكان تواجدي الحقيقي خلال عامين تقريباً.

وسادتي كانت حذائي العسكريّ، أما فرشتي فكانت قطعة قصيرة من الإسفنج الرفيع، وكانت قدماي خارج مدى قطعة الإسفنج تلك، والغطاء كان قطعة قماش قصيرة رقيقة، لا تصدّ بردًا، ولا تمنع البعوض من امتصاص دمي طوال الليل.

في ذلك القبر صادقت البعوض، فما عدت أكترث لقرصاته، ولا للدماء التي يمتصها من جسدي الهازل، وصادقت صرصورًا ونملة، كانا يقتاتان على فتات الخبز المتساقط بعد قضمي إيّاه، لم أكن أزاحم النمل والصراصير على ذلك الفتات فهو رزق بعثه الله لهم، فكيف لي أنا الجائع أن أزاحم من هم أكثر مني جوعًا وحاجةً للطعام؟

بربّكم كيف لي أن أغضب من البرد، وهو من جعلني أشعر بحرارة ودفء الإيمان..

بربّكم قولوا لي: كيف أخشى عيون اليهود المجرمين، وعين المولى عزّ وجلّ ترعاني؟!

في غرفة رقم واحد تعلمت أن أكون رقم واحد، رقمًا لايقبل القسمة على اثنين، فإمّا أن أكون مع الله، وإمّا أن أكون مع الطاغوت.. إمّا أن أكون مع الحقّ وللحقّ.. أو أكون مع الظلم وللظلم.

لقد سعى الصهاينة من خلال عزلي الكامل عن دنيا العالم الخارجي، وعن دنيا وآخرة الأموات، إلى أن أصاب بالعته أو الجنون..

وهنا أقول.. ويشهد الله على ما أقول: أنني شاهدت عقلاء يجنون في زنازين العزل، وشاهدت واثقين بأنفسهم يصابون بداء الهوس والريبة، شاهدتهم يتساقطون الواحد تلو الآخر.

شاهدتهم بعد خروجي من الغرفة رقم واحد، فبعدما أمضيت قرابة العامين، تم اقتيادي ليلًا إلى معتقل (أوهلي كيدار)، ووضعت في غرفة العزل التي كنت فيها عندما أخرجت من قبو التحقيق.

مكبل اليدين والقدمين معلق..

بسقف الزنزانة من المرفق..

فجر صباحي بلا شمس تشرق..

وبلا أمل وعيون تشرق..

احتلال طغى وتجبر وقلب المنطق..

سؤال فتحقيق واستجواب ثم تمزيق..

جسدي يتألم وسياط الجلّاد كالحريق..

عظامي تكسر عظامي تسحق..

بحري هائج وفكري غريق..

قلبي يتألم وأشعر بالضيق..

أسرت وعُذِّبت عُذِّبت وأسرت..

ولم يسقط البيدق ..

لم يسقط البيدق..

لم يسقط البيدق..

في غرفة رقم واحد تعلمت أن أكون رقم واحد

عقلاء بلا عقل.. ومجنون بعقل

نعم، كنت مجنونًا بعقل، وكان كلّ من حولي عقلاء بلا عقل، عندما تمّت إعادتي إلى قسم العزل الإنفرادي في سجن أوهلي كيدار، لم أجد داخل زنازينه الإخوة المقاومين الذين كانوا فيه قبل أن يتم اقتيادي إلى التحقيق، ومن بعده الغرفة رقم واحد، بل وجدت في تلك الغرف العشر، مجانين، لقد وُضعتُ في الغرفة رقم٤، وهي غرفة تقع في المنتصف تقريباً، ويقع على يمينها ويميني ثلاثة مجانين ومعاتيه، ويقع على يسارها ويساري ستة مجانين ومعاتيه.

كان ليلي هناك كالنهار، وكان نهاري كالنهار، فلا ليل في قسم المجانين والمعاتيه، ولا نوم ولا هدوء ولا صمت، كانوا دائمي الصراخ والشتائم على بعضهم البعض، كانوا قذرين لدرجة لا توصف، وكانت الرائحة النتنة تفوح من غرفهم، التي لم يكن أحد منهم يقوم بتنظيفها.

عندما تم إدخالي إلى غرفة رقم٤، شارفت على الاختناق من شدة رائحة القذارة التي تملأ أركانها، فما بين القيء والبراز وفضلات الطعام المتعفن، وما بين رائحة الصرف الصحي، الطافح على أرضية الزنزانة، كانت الحشرات والفئران تعيث خرابًا بما هو خرِب أصلًا.

أدخلوني إلى تلك الزنزانة بقوة بطشهم وهراواتهم، وخرجت منها بعون الله تعالى وبقوة ما بقي لديّ من عقل. لقد عملت بصمت وعلى مدى الأسبوع الأول على تنظيف تلك الزنزانة، وتطهيرها حتى تصبح صالحة للصلاة أولاً، والمعيشة ثانياً، في تلك الزنزانة وذلك القبر كان الطعام المقدّم يعادل أربع أو خمس مرات ما كان يقدم في زنزانة الكاميرات، المسمّاة غرفة رقم واحد؛ الطعام وفير جدّا، فالمجانين يأكلون ويأكلون، والصياح والصراخ وفيران جدّا جدّا.

كنت أشاهد المجنون منهم وكأنه ثور هائج، يصيح ويصرخ ويطرق على الباب، ويحطّم محتويات غرفته على مدى ساعات وساعات، إلا أنّه يتحول إلى قط وديع ما إن يُعطى بعض حبات الدواء، وما هي إلا دقائق معدودة حتى يغطّ في نوم عميق،

نوم لا يقل عدد ساعاته عن الثمانية، وبعدها يستيقظ من النوم ليعود إلى حالته الأولى من صراخ وطرق على باب زنزانته وسباب على من حوله من مجانين.

كانت وسيلتي للصلاة والنوم هي إغلاق أذنيّ بقطعتي خشب، قمت بنحتهما حتى تلائما فتحتي أذنيّ، ولولا تلك السدّادات الخشبية التي كانت تحدّ وبشكل جيّد من علوّ الصوت الصادر عن أولئك المجانين، لتحوّلت حياتي إلى جحيم، ولأصبحت أنا الآخر أحد أولئك المجانين.

أكثر من عام أمضيته بين العقلاء بلا عقل، لذلك أصبحت أعرفهم جيّدًا، وأعرف طباعهم وأجيد الحوار معهم لدرجة كبيرة جدًا جدًا، حتى أنّ اثنين من أولئك المجانين أصبحا ينفّذان كلّ ما أطلبه منهما، وبشكل فوري، وهما الاثنان اللذان كانا يتقنان الحديث باللغة الإنجليزية، لأنهما يهوديان من أصل أمريكي، أما السبعة الباقون فكان للحوار معهم لغة لها أحرف خاصة، فمنهم من كان يستجيب بمجرّد أن يسمع صوت الطرق على باب الزنزانة، حتى يبدأ هو عزف سمفونية الطرق الخاصة به، والتي لا تقلّ في العادة عن ساعة، ومنهم من كان يبدأ بالتصفير وكأنه بلبل أو كنار مغرد، بمجرّد أن أصفّر له صفرة أو صفرتين، ومنهم من كان ينهق وكأنه حمار بمجرّد سماعه لصوت مفاتيح السجان.

أتقنت لغتهم، فكانوا بيدي وكأنهم وحدة خاصة لردع السجّانين المجرمين، نعم ورب الكعبة، فما إن يدخل السجان عند المساجين، حتى كنت أعزف سمفونية الردع، فنجد هذا المجنون يقذف السجان بالشتائم والبصاق وبقايا الطعام، أما ذاك المجنون الآخر فنجده أعدّ العدّة ليبول على السجان بمجرّد أن يفتح باب زنزانته، أما السجانون الذين كنت أجد فيهم صفات الحيوان لا الإنسان، فكان لهم نصيب من سمفونية الردع أكثر قسوة وأشدّ مفعولًا.

كانت الأيام تمضي، وكنت أجيد عزف السمفونية أكثر فأكثر، عندها عملت إدارة السجن على نقل أولئك المجانين واحدًا تلو الآخر، حتى خلا قسم العزل الذي كنت فيه من أولئك العقلاء بلا عقل، وبقي المجنون بعقل.. بعد ذلك بدأت إدارة السجن بإحضار المساجين الجنائيين وبعض المساجين الأمنيين إلى ذلك القسم.

لقد استرددتُ قوتي وصحة جسدي خلال عيشي مع المجانين والمعاتيه، وذلك يعود إلى وفرة الطعام الذي كان يقدّم لنا، وكنت أمارس تمارين الضغط، وتمارين تقوية عضلات المعدة، وكنت أمارس الجري الموضعي، وكل ذلك يتم وفق جدول حافظت عليه خلال عشرة أعوام قضيتها في قبور العزل الانفرادي التي تنقلت إليها.

مع أولئك المجانين بدأت أخطو أول خطواتي في تعلم اللغة العبرية، لغة الصهاينة، ومنهم حصلت على أول كتاب لتعلم اللغة العبرية المقيتة، ومنهم حصلت على الأقلام والأوراق، وحصلت أيضًا على جهاز (راديو)، أمّا هم فقد حصلوا منّي على السجائر، بل على الكثير الكثير من علب السجائر، التي كانت تعني لهم الكثير، وتعني لي المال القابل للمقايضة مع أولئك العقلاء بلا عقل.. تطلب من أحدهم مجموعة أوراق، فيعطيك كتاب، وتطلب من الآخر قلمًا فيعطيك فرشاة للأسنان، ومع مرور الزمن أصبحوا يعطونني الأوراق والأقلام، بل إنّ أحدهم أعطاني مفتاحًا لفكّ القيود، كان قد سرقه من أحد السجانين، كنت أطلب من المجانين أن يطلبوا من السجانين أو من أهلهم عندما يزورونهم أن يزوّدوهم بما أحتاجه، أو قد أحتاجه.

فزيارة أهالي أولئك المجانين تتم بشكل منتظم، وبمعدّل مرة واحدة كل أسبوعين، أمّا أنا فكان من المحظور على أهلي أن يأتوا لزيارتي، طوال تلك الفترة، أما المحامون فقد سمح لهم بعد خروجي من قسم الحراسة المغلقة بالقدوم لزيارتي، وقد كنت ألتقي بهم في غرفة أعدّت لاستقبال المحامين لدى زيارتهم للأسرى، وهي غرفة مزوّدة بكاميرات مراقبة، تراقب وتسجل كل ما يدور أثناء تلك الزيارات.

أعرفت الآن يا أخي ما قاسيت وعانيت في زنزانة.. كانت هي القبر المعزول الذي يؤويني؟! لا بل ظلمة القبر أهون، فهو لذي التُّقى روضة وجنة، وتلك الزنزانة والمعزل جحيم أهل الدنيا.

هي مسجد لصلاتي وتعبّدي ودعائي، وهي ساحةٌ للرياضة والتمرين، الأرض كلّ الأرض عندي أرض زنزانتي، أمّا السماء فسقفها يعلوني.. فيها انقطعت عن الوجود، فلم أعد أعنيه في شيء، ولا يعنيني إلا ديني.

جراح المعرفة وندوب الحكمة

إنّ الظروف القاسية والجراح الغائرة تترك خلفها ندوبًا ظاهرة، تلك الندوب هي ما أسميتها ندوب الحكمة، التي أوجدتها جراح المعرفة، وأنضجتها الظروف القاسية.

إنّ أصبع السبّابة الذي أمسكت به القلم لأكتب، هو نفس الإصبع الذي كاد أن يُقطع نتيجة إصابته بجرح غائر في إحدى المعارك ضدّ الصهاينة، لذلك فإنّ الندب الذي خلّفه ذلك الجرح وتلك الظروف القاسية، هو عندي ندب الحكمة الذي أراه ظاهرًا أمامي وأنا أكتب في قبر العزل الذي دفنني الصهاينة داخله.

بالأمس كان ندب إصبع السبابة يرافقني في ساحة المعركة، وكان هو من يطلق رصاصات البارود، أمّا اليوم فهو يرافقني في عزلتي، ليطلق رصاصات الأقلام، أقلام الرصاص، ورصاص الأقلام وجراح المعرفة، وندوب الحكمة.

محامون أذكياء ومحامون بلهاء

على مدى الأعوام، منذ عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا، التقيت وتعاملت ووكّلت العديد من المحامين والمحاميّات، بعضهم كان ذكيًا ماهرًا مراوغًا، وبعضهم كان غبيًا ساذجًا، وبعضهم كان طيّبًا صادقًا، والآخرون كانوا أناسًا بسطاء، منهم من هو مقاوم ومجاهد بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى، ومنهم من كان عميلًا خائنًا، سواء كان عميلًا للمحتلّ، أم لسلطة الفساد والإفساد سلطة أوسلو.

وهنا وقبل الحديث عن هؤلاء المحامين والمحاميّات، اسمحوا لي أخي القارئ وأختي القارئة بأن أعود بكم إلى قبر العزل الانفرادي، حتى أصحبكم معي من باب ذلك القبر وصولًا إلى غرفة زيارة المحامي، ثم العودة منها.

لقد جرت العادة أن يخبرني السجّان بأنّ هناك محاميًا قد قدم لزيارتي، وبعدها يطلب منّي ارتداء ملابس السجن بنيّة اللون استعدادًا لخروجي من الزنزانة إلى غرفة زيارة المحامين.

يحدث هذا في ساعات الصباح الباكر، وعندها ألبس ملابس السجن وأنتظر السجّان، حتى يأتي ليصحبني لرؤية المحامي، إلّا أن ذلك لم يحدث إلّا بعد ساعات وساعات، وتحديدًا قبل موعد انتهاء زيارة المحامين بنصف ساعة في أحسن الظروف، أمّا في الغالب فقد كان السجّان ومن معه من ضابط وحرّاس، يأخذوني للزيارة قبل موعد انتهائها بخمس أو ستٍّ دقائق، أي قبل الساعة الخامسة مساءً بعدّة دقائق.

وكان السجّان يحضر معه ضابطًا وحارسين، ويبقى حارسان آخران في الخارج ينتظران، أمّا الحارسان الأوّلان فقد كانت مهمتهما وضع القيود على يديّ وقدميّ، وكان ذلك يتمّ عبر فتحهما للنافذتين اللتين كانتا مركّبتين على باب زنزانتي،

وهما على هذا الشكل:

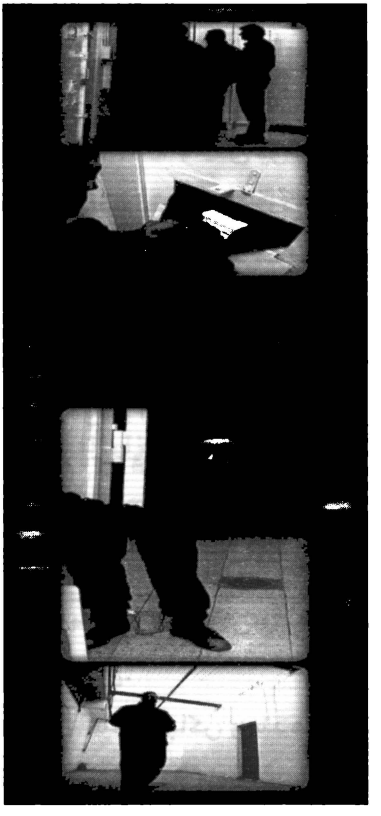

وبعد فتحهما للنافذتين كانا يقومان بوضع القيود، ثم يفتحان الزنزانة بأمر من الضابط الذي يرافقهما، بعد ذلك يخضعاني لعملية تفتيش كاملة وشاملة ابتداءً من الفحص عبر آلة كشف المعادن، وانتهاء بالتفتيش اليدويّ الدقيق، وما إن ينتهوا من عمليّة التفتيش حتى يبدؤوا بعمليّة التشخيص، أي أنهم يتأكدون من أنّني الأسير صاحب الرقم (١١٦٢١٦٧)، ثم يطابقون صورتي الموجودة على البطاقة التي يحملونها، مع صورة وجهي الذي حُفرت معالمه على مرآة جسدي.

بعد ذلك يقوم أحدهما وبناء على أوامر الضابط بالطلب عبر جهاز اللاسلكي من إدارة السجن القيام بإغلاق الطريق الذي سأمرّ منه، ومنع أيّ أحد من المرور منه سوى الضابط والحارسين وأنا، نعم، أنا صاحب الرقم والصورة.

عند وصولي إلى غرفة زيارة المحامين يتمّ تفتيشي من جديد، وكأنهم يخشون من تمكّني من تسريب شيءٍ ما، سواء كان ذلك الشيء من غرفتي أو من الممر أو من الطريق الذي سرت فيه تحت حراستهم.. حارس من أمامي، وحارس من خلفي، والضابط يتنقّل بين الحارسين، أمّا الممر والطريق فيتم وضع حارس ثالث في أوله وحارس رابع في آخره، وهو طريق ضيّق محاط بالجدران والسياج، ومليء بكاميرات المراقبة والمتابعة.

لا يعلم أولئك الصهاينة المجرمون أنهم لو قاموا بتفتيشي عشرات المرات ما تمكّنوا من إيجاد ذلك الشيء الذي أخبّئه، لكي أقوم بتهريبه ليرى النور خارج أسوار السجن الغليظة وقضبانه الكثيفة، بعيدًا عن كلاب الحراسة وأعين كاميرات التلصص والتجسس.

كنت صبورًا حذرًا، لذلك كنت أقوم بتهريب قطع الأحجية الواحدة تلو الأخرى، وكان ذلك يتمّ بهدوء وصمت، وما إن تكتمل قطع الأحجية الأولى حتى أباشر وعلى الفور بتهريب قطع الأحجية الثانية، فالثالثة، فالرابعة..إلخ.

يعتبر أهم سرّ في تهريب الأحاجي هو موعد رؤيتها للنور، وليس موعد تهريبي لها، فهناك أحاج هرّبت منذ عام ٢٠٠٣، ولم ترَ النور حتى يومنا هذا، وهناك أحاج هرّبت عام ٢٠٠٣، ورأت النور على الفور، وقد دفعت ثمن ذلك النور عامين أمضيتهما في غرفة رقم واحد، وهي غرفة الحراسة المغلقة، وذلك عندما اكتملت قطع أحجية ذلك العميل الذي كان سببًا في وقوعي بأيدي الصهاينة، فكان مصيره أن يدفن حيًا!

عندما تم اعتقالي أدركت منذ اللحظة الأولى، حقيقة الخلل والخطأ الذي أدّى إلى وقوعي بأيدي الصهاينة، لذلك قرّرت معالجة ذلك الخطأ من خلال بتر العضو الفاسد الذي أدّى لاعتقالي، من خلال تنفيذ حكم الإعدام فيه، إلّا أنّني كنت محتارًا بطريقة تنفيذ ذلك الحكم!

خلال الأشهر الستة التي أمضيتها تحت التحقيق والتعذيب، في أقبية التحقيق الصهيونية، توصّلت إلى أفضل طريقة لمعاقبة ذلك العميل الخائن، وجعل موته عبرة ودرسًا لكلّ من تسوّل له نفسه بأن يصبح جاسوسًا للاحتلال الصهيونيّ، فيبيع شرفه ودينه ووطنه، ويصبح تاجر دم، يتاجر بدماء أبناء شعبه مقابل بعض الدولارات الرخيصة.

لقد كان العميل الذي أدّت عمالته إلى وقوعي بالأسر يعمل ويقيم بالضفة الغربية تحت ستار أنّه صاحب مكتب لتأجير العقارات والشقق، فقد كان من أبناء إحدى المدن الفلسطينية، التي تمّ احتلالها عام ١٩٤٨، وقد فرّ من تلك المدينة هاربًا من أبنائها بعد كشف عمالته للمحتلّ من قبل أبناء تلك المدينة.

أرسلتُ قطع الأحجية التي أدّت إلى اعتقال ذلك العميل والتحقيق معه، الواحدة تلو الأخرى، وما إن اكتملت تلك القطع، ووصلت خارج جدران السجن حيث كنت أقبع في إحدى زنازين العزل الانفرادي، حتى علم الأخوة المجاهدون كافة المعلومات التي كانوا يحتاجونها للوصول إليه، وعندها أرسلوا ذلك الخائن إلى جهنم، بعد أن تأكّد لهم أنّ لذلك العميل علاقة مباشرة باعتقالي ووقوعي بالأسر، وأنه صاحب دور رئيسي أدّى إلى استشهاد اثنين من مقاتلي إحدى التنظيمات الفلسطينية في مدينة رام الله.

وما إن أكمل الأخوة تحقيقهم مع العميل الخائن، حتى أرسلوا لي نتيجة تحقيقهم بطريقة مماثلة لتلك الطريقة التي أُرسل لهم بها الأحاجي والألغاز، وبعد ذلك انتظروا منّي القرار بحقّ ذلك الجاسوس، الذي أدّت عمالته لاعتقالي واستشهاد اثنين من المقاومين.

وما هي إلا فترة وجيزة حتى أرسلت إليهم قطع الأحجية الجديدة، التي جعلتهم يبحثون عن أحد مواقع البناء الجديدة، في إحدى المجمّعات التجاريّة، أو إحدى الأبنية الضخمة، ليفنوا ذلك العميل الخائن حيّا، تحت الإسمنت الذي بنيت عليه أساسات ذلك البناء.

وهنا أقول أنّني أكره الاحتلال الصهيوني كرها ما بعده كره، إلّا أنّني أكره العملاء والجواسيس أضعاف أضعاف كرهي للمحتلّ الصهيوني، لذلك فأنا أتمنّى لو أتمكّن من حرق أولئك العملاء تمامًا، كما تمكّنت من حرق عشرات الصهاينة المحتلّين عبر عبواتي الناسفة، ورصاصاتي الحارقة، فلا مكان في فلسطين لليهود الصهاينة، ولا للعملاء المتصهينين، ولا لأذناب التنسيق الأمني الأوسلوي المقدس، الذين أسميتهم (غراقدة البشر) وهم لا يختلفون عن غراقدة الشجر، ذلك الشجر الحامي لليهود من سيوف الحق، سيوف الإسلام.

وهنا اعلم أخي القارئ الكريم، أنّه تمّ اقتيادي إلى أقبية التحقيق الصهيونية، مرّات عديدة منذ عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا، وكانت كلّ جولات التحقيق بلا لون أو طعم يذكر، إلّا أنّ آخر تلك الجولات كانت تختلف اختلافًا كليًا وجوهريًا عن سابقاتها، ففي جولة التحقيق تلك عرض عليّ محقّق الشاباك الصهيوني تسجيلاً مصوّرا لاعترافات أدلى بها مقاومان قسّاميان، كان باديا عليهما علامات التعذيب الشديد والإعياء المميت.

لم يكن هذان المقاومان معتقلين عند جهاز الشاباك الصهيوني، ولم يعذّبا هناك! بل كانا قد خضعا للتحقيق والتعذيب في الضفة الغربية، على يد أجهزة أمن غراقدة التنسيق الأمني الأوسلوي المقدّس، المؤتمرة بأمر الغرقديّ المجرم عبّاس.

وهنا أقول للغراقدة الذين يعملون ليلًا نهارًا، على حماية المحتلّ الصهيونيّ ومستوطنيه المجرمين، ما يأتي:

قرآن ربي وسنة النبي المختار ... أصبحا رمادًا فأين الثوّار؟!
مستوطن محتل طغى وتجبر ... وسلطة الغرقد ترى وتتبختر
كلاب اليهود بقرانا تدور ... وأشباه رجال أوسلويين تُشترى بدولار
أذناب أماتوا الجهاد ودمّروا المشوار ... تعاونوا مع المحتلّ وخانوا كلّ حرّ
تحوّلوا لسجانين جلادين وأحقر ... يقتلون أبناء جلدتهم فاحذر
فإن فلسطين براء من أولئك الأشرار ... فهم زرع شيطان في قلب فلسطين والدار
عملاء احتلال هم، وهم بلا مشاعر ... شلّ عقلي وأصبح بلا تفكير
فالوضع غدا أخطر من خطير ... فالوضع غدا أخطر من خطير
فالله ما بالقوم لا يغيّر ... إن عملهم بيدهم لم يتغيّر
قم يا مؤذن كبّر وأعلن الاستنفار ... على المحتلّ وعميله الأوسلويّ الفارّ

ألم يحرق مجنونهم المنبر؟!
أوَلم يبنوا ويرفعوا الجدار؟!
أوَلم يحيطونا بأسوأ حصار؟!

يكفينا صبرٌ وانتظار... يكفينا صبرٌ وانتظار
ألسنا عباد الواحد القهّار؟!
ألسنا عباد ربّ الأحرار الأبرار؟!
قل لي بربك باختصار:
أين المجاهدون؟ أين الأحرار؟
أين رجال فلسطين الانتصار؟
هل أصبحوا شهداء في القبور؟!
أم أصبحوا خرافًا تذبح وتنحر؟!

عذرًا منك أخي القارئ فقد أطلت عليك، ولكن ما باليد حيلة، فكرهي لأولئك الغراقدة والأذناب والعملاء كبير لا يوصف، وغضبي عليهم لا يعادله شيء.

وبالعودة إلى موضوع المحامين الأذكياء، والمحامين البلهاء، وموضوع قطع الأحاجي التي أقوم بتهريبها من خلف جدران الأسر، نجد أن أهم ما تمّ تهريبه هو عدد من الكتب والروايات والدراسات التي قمت بكتابتها في قبر زنزانة العزل الانفرادي، فمنذُ عام ٢٠٠٣ وحتى كتابة هذا الكتاب، قمت بتهريب ما لا يقل عن سبعة عشر كتابًا وروايةً ودراسةً. وهنا يجب أن تعلم عزيزي القارئ، أنّ أول تلك الكتب نشرت بعد كتابتها وتهريبها بما لا يقلّ عن عشرة أعوام، ويعود سبب حرصي على عدم النشر إلى عدم رغبتي كشف ما أقوم به هناك في قبر العزل الانفراديّ، وذلك حتى لا تُصادر الأقلام وتُحرق الأوراق.

محامون أذكياء ومحامون بلهاء، محامون أبرار، ومحامون أشرار، محامون حفظوا السّرّ، ومحامون برعوا بالغدر..

صريح أنا لدرجة الوقاحة، هكذا قالوا عني عندما كنت فتى صغيرًا، لذلك لن أُواصل الكتابة بموضوع المحامين، لأنه موضوع شائك مليء بالألغام والأشراك، إلا أنني أعد القارئ بكتاب وكتب عن هذا الموضوع وهذه الأحجية واللغز في الوقت المناسب والمكان المناسب.

غراقدة الشجر.. وغراقدة البشر

مجموعة صور.. وذكريات بلا صور

العادة: هي أمر اعتاد الإنسان على عمله، بشكل روتينيّ ومتكرّر، لذلك تقيّد العادات الإنسان، في كلّ زمان ومكان. ولذلك قمت بتمزيق تلك الصور الجميلة! نعم، مزّقتها وألقيتها في سلّة مهملات الذاكرة، لتصبح ذاكرتي بلا صور، ويصبح واقعي مجموعة صور.

لقد صنعتُ تلك العادة في قبر العزل الانفراديّ، حتى لا تصبح الصور قيودًا فوق القيود، بل لتصبح القيود معدومة الوجود! أدركت عند قيامي بتمزيق تلك الصور مدى قسوة قلبي، وأيقنت أنّ قلبي أقسى من حجر الصوّان.

ولكن ما باليد حيلة، فقد طغى قرار العقل على القلب، فمزّقت اليدان تلك الصور، وبقيت ذكرياتي بلا صور. فعذرًا منكم أحبتي كلّ العذر، عذرًا (تالا) ملاكي الحارس، عذرًا (أسامة) الأسد والغضنفر، وعذرًا (صفاء) البلسم والدواء، وعذرًا من أبناء أخوتي وبناتهم، وعذرًا من أبناء أخواتي وبناتهن.. عذرًا، ولكن ما باليد حيلة، فالعقل قرّر واليدان مزّقتا الصور، فهلّا تكرّمتم عليّ وأرسلتم مزيدًا من الصور، حتّى أمارس عادتي بتمزيقها.

لا تعجب أخي القارئ، فإن عرف السبب بطل العجب، لا تعجبوا يا من تصوّرون صور (السيلفي)، وترسلونها لبعضكم البعض بلمسة إصبع.

عندما قدّر لي المولى عزّ وجلّ أن أُعتقل على يد قوّات العدوّ الصهيونيّ في عام ٢٠٠٣، كان عمر ابنتي الصغرى صفاء خمسة وثلاثون يومًا، لذلك كانت آخر صورة التقطتها عيناي للجميلة صفاء، هي صورة طفلة رضيعة، إلّا أنّ أول صورة حصلت عليها للجميلة صفاء كانت تختلف اختلافًا جذريًا عن تلك الصورة التي كانت مطبوعة في ذاكرتي.

الرضيعة تحبو على يديها وقدميها، الرضيعة تمشي على قدميها، الرضيعة تجري، الرضيعة ترتدي مريول الحضانة والروضة، الرضيعة ترتدي وشاح نجاحها وتخرّجها من الروضة، الرضيعة ترتدي مريول الابتدائية، الرضيعة ترتدي ملابس الصلاة وتصلي، الرضيعة ترتدي ملابس المدرسة المتوسّطة، الرضيعة تحفظ العديد من أجزاء القرآن وتُكرّم، وتّصوّر وتُصوّر.

الرضيعة ما عادت رضيعة، بل أصبحت تصوّر نفسها صور (سيلفي)، قولوا لي بربكم: هل بقيت الطفلة الرضيعة، رضيعة؟! لا، لم تعد رضيعة، لا خارج أسوار السجن، ولا داخل أسوار وجدران القبر الذي عزلت فيه منذ اعتقالي عام ٢٠٠٣، بل كبرت هناك في البيت والروضة والمدرسة، وكبرت هنا، داخل زنزانة قبر العزل الانفراديّ.

لقد كنت أمزّق صورها القديمة ما إن تصلني صورها الجديدة، مزّقت صورة الرضيعة، ومزّقت صورة من كانت تحبو وتمشي، ومزّقت صورة ابنة الروضة والمدرسة، نعم، مزّقت صور تالا وأسامة وصفاء القديمة ولم أحتفظ إلّا بالصور الجديدة.

لقد جرت العادة أن يحضر لي الصليب الأحمر الدولي خمس صور كلّ ثلاثة أشهر، وكلما وصلت صور جديدة، شرعت بتمزيق الصور القديمة، فأصبحت ذكرياتي عن أطفالي ذكريات بلا صور، أذكر صفاء الرضيعة ولا أحتفظ لها بصورة، وأذكر صفاء ابنة الروضة ولا أحتفظ لها بصورة، وأذكر كلّ أولادي، وأولاد إخوتي وأخواتي، ولا أحتفظ لهم بصور قديمة عندي، ولا يوجد لأيٍّ منهم عندي سوى صورة واحدة، هي الصورة الحديثة الجديدة.

وها أنا اليوم وبعد مضي اثني عشر عامًا لي خلف قضبان الأسر، لا أملك إلا مجموعة من الصور الجديدة، لكنّني أملك مجموعة كبيرة جدًا من الذكريات التي مزّقت صورها، بعد أن حفظت كلّ ما فيها من تفاصيل بمنتهى الدقّة، فعذرًا لمن مزّقت صورهم، كلّ العذر، فالعقل أمر، واليد مزّقت، والقلب قسا. فأنا لا أرغب بأن أعيش توهان الماضي وذكرياته، بل أريد العيش في الحاضر مع صور الحاضر، فما عاد بالإمكان الاحتفاظ بصور الماضي.

لقد كنت مهتمّا بمحو الماضي، لأتمكّن من العيش في الحاضر، وقد نجحت على مدار الأعوام الماضية، أمّا اليوم فأنا أرغب بأن أعيش حياة الغدِ والمستقبلِ اليومَ.

اليوم وهنا في قبري ومعزلي، أتمنّى أن أعيش في المستقبل، وأنتظر المستقبل بشغف وشوق ما بعده شوق، فما عدت بحاجة للماضي وذكرياته، ولا الحاضر ومعاناته، فالماضي ما هو إلّا أعوام وأعوام من الأسر والعزل، والحاضر أيضًا ما هو إلا أسر وعزل وحرمان من الحرية، أمّا المستقبل فعلمه عند المولى عزّ وجلّ.

أثناء محاكمتي من قبل الصهاينة في محاكمهم الصوريّة، كان الصحفيون يقومون بتصويري المرّة تلو المرّة، ومع مرور الأيام والأشهر والسنين كنت أكبر في العمر، وكان شكلي يتغيّر، وبدأ الشيب يغزو لحيتي، وما عاد جسدي جسد لاعب الجودو مفتول العضلات، لذلك طلبت من زوجتي وإخوتي أن يتخلّصوا من صوري القديمة، وأن يعملوا على استخدام الصور الجديدة فقط، سواء كان على مواقع التواصل الاجتماعي، أو أثناء حمل صوري في الاعتصامات والمهرجانات.

اعتصام هنا، واعتصام هناك، ومهرجان هنا وهناك، وما إن ينتهِ المهرجان والاعتصام، حتى تتساقط صوري عن الجدران، فتُداس تحت الأقدام، وتحت عجلات المركبات، وهذا أمر طبيعي، ومن الطبيعي أيضًا أن تُمزّق صوري على أيدي أذناب أجهزة أمن سلطة أوسلو، وغراقدة التنسيق الأمني المقدّس، تمزّق وتمزّق، حتى لا يبقى منها ما يُمزّق أو يُداس، فهم يتمنّون أن تتوقّف روحي عن إخراج الأنفاس!

خمس صور كل ثلاثة أشهر

عيدٌ بأيّ حالٍ عدت يا عيدُ

رمضان يا خير الشهور تحية ... تضفي عليك مع الجلال جلالا
خذها يفوح عبيرها من مؤمن ... يبغي لك التعظيم والإجلالا
رمضان عدت وهذه أوطاننا ... عمّ الفساد بها وزاد وطالا
ضاعت مقاييس الفضيلة بيننا ... وتبدلت أحوالنا أوحالا
فالحُر أصبح في البلاد مضيعاً ... والنذل أمسى سيدا مِفضالا
رمضان ها قد جئت تطرق بابنا ... وتريد منّا أن نكون رجالا
وتريد منّا أن نكون أعزّة ... نأبى الهوان ونأنف الإذلالا

رمضانُ فَعيدٌ، وعيدٌ فرمضان، وحجٌّ فعيدٌ، وعيدٌ فحجٌّ، والحال هي الحال، والأغلال على يديّ وقدميّ هي الأغلال، فبأيّ حال عدت يا عيد، قالوا لي: «اليوم» عيد، قلت: «وما أدراني فكلّ الأيّام عندي سيّان؟!» فأنا يا أحبّتي ما عدت أشعر أنّي مثلكم إنسان؛ فلا مظاهر للإنسانية حولي، وما عدت أعدّ الأيام ولا الأشهر والسنين، فالعيد لمن تعوّد على عدّ الأيام منتظرًا يوم العيد، حتى يفرح ويسعد ويلتقي بأهله وأحبابه ويصل أرحامه، ويرى أحلامه قد تحقّقت؛ كبر أولاده، وكبرت سعادته بهم، وسعادتهم به وبالعيد.

وليد الأعظميّ

إنّ الحزن الذي يعتريني وأنا داخل قبر زنزانة العزل الانفراديّ، هو حزن البعد والفراق، وحزن المحبّة والاشتياق، هو حزن كبير عظيم، إلّا أنّ حزن أهلي وأحبّتي أكبر وأعظم، فعلى الرغم من كونهم أحرار طلقاء، إلّا أنّهم يشعرون بألم قيدي، وجوع جسدي، وضيق نفسي، لذلك لا يهنؤون بعيد، فهم مازالوا ينتظرون عودة الابن والأب البعيد.

أمّي تنتظر عودتي..
وزوجتي تنتظر عودتي..
وأبنائي ينتظرون عودتي..
وبندقيتي تنتظر عودتي..

كلّهم انتظروا، وكلهم لا يزالون ينتظرون، ولا يهنؤون بالعيد، بل إنّ العيد يعيد إليهم الشعور بحرقة البعد والفراق، ويذكّرهم بالحاضر صورةً، والغائب جسدًا، والحاضر روحًا، والغائب حضورًا، حضر العيد، وحضر معه الزوّار والمهنئون والسائلون عن الغائب الحاضر، ومع كلّ سؤال يسأله الزوّار تنهال دمعةٌ هناك في عمان حيث أمّي وأبي وأخوتي وأخواتي، وهنا في فلسطين حيث زوجتي وأولادي، وحيث القدس الحزينة على فراقي وفراق بارود رشّاشي، وبندقيّتي وعبواتي، التي كانت للقدس كالعنبر والمسك، وكانت على الصهاينة كحمم جهنّم.

في العيد كنت ألبس ملابس اليوم، فهي ملابس الأمس والغد، وكنت أتعطّر برائحة عفونة قبر العزل الانفرادي، وهي عندي أحلى من رائحة كلّ العطور، لأنّها جبلت برائحة عرق الكرامة والعزة، ورائحة المقاوم والشهيد التي ما بعدها رائحة..

ملابسي الممزقة المهترئة ما زالت تستر جسدي، وجسدي النازف يستر روحي، وروحي لا تزال تقاوم وتقاوم.

كم أودّ سماعهم يقولون:
كلّ عام وأنت بخير يا زوجي الحبيب
كلّ عام وأنت بخير يا والدي الحبيب
كلّ عام وأنت بخير يا أخي الحبيب
كلّ عام وأنت بخير يا عمي الحبيب
كلّ عام وأنت بخير يا خالي الحبيب

وكم أودّ أن أقول:

كلّ عام وأنت بخير يا أمي الحبيبة

كلّ عام وأنت بخير يا أبي الحبيب

كلّ عام وأنت بخير يا زوجتي الحبيبة

كلّ عام وأنتم بخير يا أولادي الأحبة

كلّ عام وأنتم بخير يا إخوتي وأخواتي الأحبة

كلّ عام وأنتم بخير يا أبناء إخوتي وأبناء أخواتي الأحبة

كلّ عام والقدس بخير

كلّ عام وأنتم يا أحبّتي القرّاء بخير

تلك الكلمات كنت أردّدها كلّ صباح عيد بصوتٍ عالٍ جدًا، وما كنت أسمع لها صدًى، وذلك لضيق زنزانتي وقبري ومعزلي، حتّى صوت الصدى حرمتني منه تلك الزنزانة البليدة عديمة الإحساس، لكنّها لن تتمكّن من ترويضي، فأنا مؤمن بذاتي، لا أخشى التحدّيات، ولا أهاب مواجهة الصعوبات. صحيح أنّني حزينٌ على فراق الأحبّة والأهل في العيد وغيره من المناسبات والأيّام، إلا أن حزني لا يعني استسلامي، وألمي لا يعني هواني أو خضوع جسدي لسجّاني.

فالعيد العيد قادم، نعم، قادم يوم تحرّر القدس والأقصى من دنس المحتلّ الصهيوني اللعين، ويوم يُفكُّ قيد فلسطين، وقيد أسرى فلسطين، ويوم يعود للدين مجده على أيدي المجاهدين القسّاميين الميامين.

فالعيد قادم، والنصر قادم، وجيش القسّام قادم، وفجر الحريّة قادم، وأنا يا أمي قادم، نعم، ورب الكعبة، أنا قادم. فحديد قيدي بدأ يصدأ ويهترئ وينكمش وينهزم.

فلتعد أيّها العيد، لأنّني قادم من بعيد، قادم رغم أنف المحتلّ، فالله قدّر والقسّام أعدّ واستعدّ، فاستعدّ يا عيد القسّام من بعيد.

عودة الابن.. والأب البعيد

قلمي بندقيّتي.. كلماتي رصاصاتي

إنّي مؤمن إيمانًا قاطعًا وجازمًا، أنّ قلمي أصبح اليوم داخل قبر العزل الانفرادي كبندقيّتي التي كنت أستخدمها بالأمس في ساحة المعركة. وأنّ كلماتي اليوم أقوى من رصاصاتي بالأمس، لذلك أمسكت القلم، وعصفت فكراً جاد بالكلمات، مثلما جادت بندقيّتي بالرصاصات.

إنّ القلم والكلمة والكتاب هم الوجه الثاني لعملة ازدان وجهها الأول بالبندقيّة والرصاصة والخطّة العسكريّة، والعمليّات الجهاديّة.

القلم والبندقيّة وجهان لعملة واحدة، هي عملة المقاومة والجهاد في سبيل الله، هي عملة الجماعة والحركة والكتائب، التي لا يتمّ صرفها إلّا ببنك المولى عزّ وجلّ، فنحن لا نُباع ولا نُشترى، لأنّنا بعنا أرواحنا وأموالنا ودنيانا لله، والله خير من اشترى.

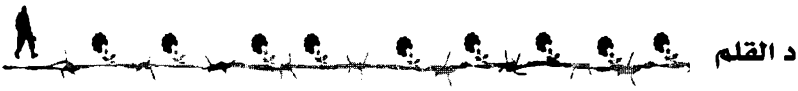

زناد القلم

إنّ لقلمي زنادًا، حاله كحال بندقيّتي التي كانت تطلق الرصاص، أمّا هو فيطلق الكلمات لتغدو مقالات ودراسات وكتبًا وروايات. فعندما أمسك القلم داخل هذه الزنزانة والمعزل، أشعر وكأنّني أمسك بالبندقية، لذلك أجد أنّ من الواجب أن تكون حال الكلمة كحال الرصاصة، لا تنطلق إلّا في سبيل الله ولله.

في كتاباتي سرتُ عكس التيار، فكرهني الأشرار وأحبّني الأخيار والأبرار، كتبت سيرتي الذاتية، على الرغم من معرفتي المسبقة بأنّ السير الذاتية هي أكثر أنواع الكتابات إثارة للجدل، وهذا ما حصل، لأنّني كتبتها من وجهة نظري أنا، لا هم، فهم مجرّد أشخاص مررت بهم خلال محطّات توقّفي وتنقّلي، لذلك كتبت عن عبدالله البرغوثي لا عن هذا ولا عن تلك.

غضبت تلك لأنّني لم أصفها بصفات الكمال والجمال والذكاء والموهبة، وغضب هذا لأنّني لم أثنِ على دوره الذي ظنّه كبيرًا ومهمًا، وأنّه لولا هذا المدور ما كان حال الدنيا على ما هي عليه اليوم، وهنا أقول ويشهد الله على ما أقول، أنني كتبت أولًا: ما أعرفه وتحقّقت منه.

وثانيًا: كتبت غير قاصد التقليل من تلك ولا هذا ولا ذاك.

وثالثًا: كتبت عن الذي رأته عيناي، وخفق له قلبي، وارتاح له عقلي، ولم أكتب مادحًا أو ممجّدًا لأحدٍ حتّى يرضى عليّ، أو يمتدحني.. فالسيرة الذاتية لا تكتب عن هذا أو تلك، وإنما تكتب عن (أنا)، أي أنّها تكتب عن صاحبها، لا عن الذين يدّعون أنّهم أصحابها، أو أصحاب الفضل على صاحبها، فلا فضل لأحد عليّ سوى المولى عزّ وجلّ، ومن بعده والدي الذي ربّاني على الدِّين والاستقامة، ووالدتي التي ثبّتت ورسّخت ما ربّاني عليه والدي.

قاتلت حتّى تعبت بندقيّتي، وها أنا أكتب حتّى يتعب قلمي، ويتوقف فكري فلا يغدو عندي كلمات وأفكار، ولا مقالات وكتب.

قاتلت مع خلية قسامية كان أفرادها يحرقون المركب، ويحطّمون قوارب النجاة، قبل أن نصل إلى برّ الأمان، فاعتُقلوا كلّهم بعد عمليّة واحدة لا غير، وأكملت مع غيرهم من أبناء القسّام الذين نفّذوا العمليّة تلو العمليّة، ونفّذوا العمليّة قبل وبعد العمليّة، فشتّان بين من حرقوا المركب وحطّموا قوارب النجاة، وبين من حصّنوا المركب وبنوا المزيد من قوارب النجاة.

غضب مني من حرقوا المراكب وحطّموا قوارب النجاة، وشكرني من حصّنوا المراكب وبنوا المزيد من قوارب النجاة، لذلك لم أشعر أنّني قد قصّرت بحقّ هذا أو زدت من حقّ ذاك، فأنا لم أكتب عن سيرة هذا أو تلك أو ذاك، وإنّما كتبت سيرتي، وذكرت خلالها محطّات التوقّف المُرّة، ومحطّات الانطلاق الحلوة.

عندما كتبت كتاب «مهندس على الطريق» بجزئه الأول المسمّى «أمير الظل»، كتبته امتثالًا لوصية الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي أوصى فقال: «ما أحوج الناس إلى قاصّ صدوق».

كتبته هنا في قبر العزل، العزل الانفرادي، حيث لا بندقية ولا رصاص، فلست أملك سوى قلم رصاص ركّبت له زنادًا، وصرت أطلق منه رصاصات كلماتي، لتشكّل القصة الصادقة لسيرتي الذاتية التي أسعى من خلالها إلى نشر رؤيتي الجهاديّة بطريقة مستنيرة، تولّد في الأنفس حبّ التطلّع والاقتداء والصمود.

فالقائد القاصّ الصدوق هو الذي يحسن رواية القصص والعبر، التي تربط الناس بشكل عام والمجاهدين بشكل خاص بأهدافهم ومبادئهم وقيمهم التي تميّزهم عن غيرهم.

كتبت على أمل أن أتمكّن من إيصال رؤيتي المستقبليّة بطريقة عاطفية، وبصورة واضحة جليّة تجعل المجاهدين يرونها كما يرون واقعهم، فيتحمّسون لها ويندفعون نحوها ويضحّون من أجلها.

داخل قبر العزل تمكّنت من تسخير الرؤية المستقبلية، لتكون هي القوة الدافعة التي تمكّنني من البقاء والصمود والانتصار، على قسوة السجن وجبروت السجان، لذلك أودّ أن أوصل هذه الرؤية عبر مقالاتي وكتبي لكم، لعلّها تمكّنكم من تحطيم قيد الاحتلال والانتصار عليه.

فأصحاب الرؤية المستقبلية هم جيل يحسن فهم الإسلام ويؤمن به، ويدعو له ويجاهد في سبيله، فهم أصحاب عقل مستنير، وقلب منير، وعزم وفير، ودم طاهر. وهم الذين وضعوا أيديهم بيد الله ليسّر لهم دربهم، ويهديهم سواء السبيل.

«أمير الظل» كان ردًا على رسالة ابنتي الحبيبة تالا، لذلك كان كتابًا كله مشاعر وأحاسيس، فمن أساء الظنّ لمرض في قلبه، سامحه الله وشافاه، ومن أحسن الظنّ لنور في قلبه، فجزاه الله عنّي وعنكم كلّ خير.

بعد «أمير الظلّ» أمسكت القلم وضغطت على زناده، بعد أن أعددت الرؤية والخطة وتوكّلت على الله عزّ وجلّ، كانت رؤيتي تقوم على الكتابة في أربعة مساقات..

أولها: هو الرواية الموجهة نحو حوّاء، على أن تكون حوّاء هي البطلة والمحور الرئيسي، الذي يدير الأحداث ويصنعها وينتصر. فكتبت (الماجدة.. ذكريات بلا حبر وورق)، فكانت الماجدة هي البطلة، وهي القصة والانتصار؛ فالماجدة هي قصة فتاة أبحرت ببحر هائج ذي عواصف رعدية ماطرة، كادت أن تغرق المرة تلو الأخرى، إلّا أنّ تمسّكها المطلق بالمولى عزّ وجلّ مكّنها من الوصول إلى شاطئ السلامة والنصر والحرية.

«الماجدة» مشاكسة ثرثارة أحيانًا، وصامتة حزينة في أحيان أخرى، تتقاذفها أمواج بحر الظلم والقسوة والاحتلال، بحرٌ مليء بصخور الألم والحسرة والقهر، بحر عجز أقوى الرجال عن خوضه، إلّا أنّ «الماجدة» خاضته رغمًا عنها تارة، وبرضاها تارة أخرى.

«الماجدة» هي أم الشهيدة وزوجة المقاوم، وهي المقاومة زوجة أبي الشهيدة، وهي أم نور وأمل، وهي النور والأمل.

كتبت هذه الرواية محاولًا توجيه النصائح والإرشادات عبر تقديمي لبطلة مسلمة، فلسطينية وعربية، لتكون هي القدوة الحسنة بصلاتها ولباسها المحتشم، وعلمها وسلوكها وصبرها وقوة إيمانها بالله عزّ وجلّ، وبعدالة قضيتها قضية فلسطين، والفلسطينيات اللواتي يقاومن ويجاهدن مع المقاومين والمجاهدين الرجال جنبًا إلى جنب.

كتبت رواية الماجدة، وأنا أرى في الماجدة زوجتي الحبيبة (فائدة البرغوثي) التي طوردت من قبل الاحتلال الصهيوني لمدة ثلاثة أعوام أمضتها معي، وأنا أدير عملي كمهندس قسامي، خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى المبارك.. كتبتها.. وكانت رواية من نسج الخيال، لأنّ الواقع الذي عايشناه كان أقسى بكثير مما يمكن للقارئ احتماله.

أمّا المساق الثاني الذي كتبت فيه، فهو رواية لآدم المجاهد، الذي يدير معركة العقول من خلال ملاحقته وتصديه للعملاء والجواسيس، فكان آدم رواية (المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني) هو (شهاب).

ولقد جاء في مقدمة الرواية: «إن رواية المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني هي مجرد إضاءة بسيطة جداً ومتواضعة لبعض قصص المواجهة بين المقاومة وعملاء الاحتلال، لذلك يجب أن تعلم عزيزي القارئ أن ما بين يديك لا يعدو كونه رواية من نسج خيال كاتبها، فبطل هذه الرواية واسمه شهاب هو بطل -كما يقال- مصنوع من حبر كتب على ورق.

لكن هذا لا يعني أنك لن تجد بين السطور أحداثا واقعية قد تكون قاسية وعنيفة وصادقة وصريحة جدّا، وهذا يعود لأن كاتب هذه الرواية هو شخص صريح لدرجة مفرطة، فهو من النوع الذي لا يخشى في الحقّ لومة لائم، ولا يضع نصب عينيه سوى مرضاة الله ربّ العباد. أما العباد فيصعب إرضاؤهم، والأهمّ من ذلك أنّه لا يهمّني ولا يعنيني إرضاؤهم.

اعلم عزيزي القارئ أنّ كاتب رواية «المقصلة» ليس روائياً أو شاعراً، بل هو مقاوم مقاتل، وصاحب أعلى حكم في تاريخ القضيّة الفلسطينية؛ فقد حكم عليه بسبعة وستين مؤبداً وخمسة آلاف ومئتي عام، وهو أيضًا صاحب أكبر ملف أمني لدى جهاز الشاباك الصهيوني، وخضع للتحقيق مدّة ستة أشهر متواصلة، رأى خلالها الموت عدّة مرّات، وتحدّث معه ولامسه، وقدّر الله له أن ينتصر على المحققين الصهاينة، فخرج من قبو التحقيق كما دخله، لم يرو عطش محققي جهاز الشاباك الصهيوني، بل زادهم جوعًا وعطشًا. لذلك تمّ عزل المهندس القسامي، والكاتب المقاوم، في زنزانة العزل الخاص منذ عام ٢٠٠٣، وحتى يومنا هذا؛ عقابًا له على العطش الذي سببه لضباط الشاباك الصهيوني، وخاض الكاتب قبل أن يكون كاتبًا معارك ومواجهات كثيرة جدًا ضدّ عملاء جهاز الشاباك الصهيوني، لكنك لن تجد ذكرًا لتلك المعارك والمواجهات في كتاب ورواية «المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني»، وسبب ذلك أنّ معركة عبدالله البرغوثي ما زالت مستمرة، ولن تنتهي إلا بزوال الاحتلال الصهيوني عن تراب فلسطين، كلّ فلسطين.

وليكن معلومًا لديك عزيزي القارئ أنّني قد بدأت صياغة الحروف الأولى من هذه الرواية، في اللحظات الأولى التي تلت اغتيال القائد الشهيد وزير الداخلية، الأستاذ سعيد صيام، والمئات من أبناء الشعب الفلسطيني خلال الحرب الصهيونية على غزة خلال عام (٢٠٠٨- ٢٠٠٩م)، تلك الدماء الزكية والأرواح البريئة التي أزهقت بفعل آلة الحرب والدمار الصهيونية، وبفعل وشاية العملاء والجواسيس الذين باعوا أنفسهم للاحتلال بثمنٍ بخسٍ، وارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أدوات رخيصة، يحرّكها الاحتلال كيفما شاء، للتخلص من المقاومين، وقتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال بلا رحمة.

أدعو الله أن يأتي اليوم الذي يتحرّر فيه المسجد الأقصى المبارك من دنس الاحتلال، حتى أصبح حرًا، وعندها فقط سأكتب عن تجاربي الشخصية، تلك التجارب وجولات العقول ضد المحتل وعملائه وجواسيسه.

تلك كانت مقدمة الرواية، لذلك وجب عليّ أن أقدّم لك ـــعزيزي القارئـــ خاتمتها: « شخصية «شهاب» هي شخصية من نسج خيالي أنا، أنا الكاتب الذي كتب وروى الرواية، تلك الرواية التي أسميتها «المقصلة»، ورويتها عن قطاع غزة رغم أنني لم أعش فيه، ولم تطأ قدماي ترابه الطاهر المقاوم، ولكن هذا لا يعني أنّ الأحداث التي رويتها كانت من نسج الخيال.

فقد حدثت تلك الأحداث في مكان آخر، مع أشخاص آخرين، كانوا في الميدان، وواجهوا المحتلّ الصهيوني وقوّاته، وتصدّوا لجواسيسه وعملائه.

اعلم عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة.. أنّ كلّ حرف وكلمة وجملة كتبتها، هي جزء بسيط من الواقع الحقيقي المرّ الذي نواجهه على أرض فلسطين المحتلّة. فنحن هنا في فلسطين المحتلة نخوض المواجهة تلو المواجهة، سواء كان ذلك في ساحة المعركة، أو في ساحات ومتاهات العمل الأمني، حتى هنا داخل الأسر عندما كتبت هذه الرواية، فمجرّد كتابتي لها هو تحدٍّ، ومجرّد جعلها ترى النور هو الانتصار، ومجرّد وصولها إلى يديك يا من تقرأ بعينيك هذا الكلام هو عزّة وشرف.

تلك كانت نهاية وخاتمة الرواية الثانية التي كتبتها ونشرتها بحمد الله وقوته، وهي الرواية الموجّهة لآدم، وقد صدرت رواية «المقصلة» في نفس يوم صدور رواية «الماجدة» بتاريخ ٢٠١٣/٠٣/٠٥، فقد أردت أن تصدر رواية حواء جنبًا لجنب مع رواية آدم.

ثم أصدرت كتابًا يمثل المساق الثالث الذي أردت الكتابة فيه، وهو «أدب المقاومة التعبويّة التحريضيّة» وكان هذا الكتاب تحت عنوان «بوصلة المقاومة»، وصدر إلى جوار هذا الكتاب، كتابٌ يمثّل المساق الرابع، وهو مساق (إحياء فقه الدعوة) وكان تحت عنوان: «الميزان.. جهاد الدعوة.. ودعوة المجاهدين» وقد صدر هذان الكتابان بتاريخ ٢٠١٣/٠٨/٣١، عندما كنت أخوض إضراب الكرامة الذي استمرّ لمدّة مئة وثلاثة أيّام. وهاك أخي القارئ مقدّمة كتاب «بوصلة المقاومة»، ويليه مقدّمة كتاب «الميزان».

مقدّمة بوصلة المقاومة:

«منك اللهم أستلهم الصواب وأطلب التوفيق، والحمد لله رب العالمين الذي ما خططت حرفًا إلّا وسألته أن يكون مشكاة نور، تنير القلوب المستنيرة، وتزيدها نورًا على نور، أو مشكاة نور تنير القلوب المظلمة، فتنير لها جانبًا من جوانب الدنيا والدّين.

والصلاة والسلام على قائدنا ونبينا محمد سيّد المرسلين وأصحابه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

أمّا كتاب «بوصلة المقاومة» فهو لا يعدو كونه محاولة متواضعة للسير على الطريق، فالطريق نحو إعلاء كلمة الإسلام والجهاد في سبيل الله، طويل وشاقّ، ولا يمكن السير إليه والوصول إلى نهايته سالمًا، إلّا من خلال اتباع تعاليم الله عزّ وجلّ، وتعاليم نبيّه المصطفى ﷺ، أي اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لذلك وجدت أنّه من الواجب عليّ وأنا صاحب تجربة مقاومة، أن أزيح الغبار عن البوصلة لعلّها ترشد من يسعى إلى أن يعيد للأمة مجدها إلى الطريق الواجب اتباعه.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: ٢)

إذا اختلف علماء الإسلام، رجال العقيدة والشريعة حول مسألة ما في فقه الجهاد، كان رأي المجاهدين القائمين العاملين هو النافذ الفاعل، لذلك يُقدّم رأي المجاهدين على رأي الدعاة، وعلامة ذلك: «لا يُفتي قاعد لقائم»

فنحن المجاهدون القائمون، نتبع قرآن ربّنا، وسنّة قائدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم».

تلك كانت مقدّمة كتاب «بوصلة المقاومة»

وإليك أخي القارئ الحبيب مقدّمة كتاب: «الميزان.. جهاد الدعوة..ودعوة المجاهدين»
قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصّلت: ٣٣).

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له من دون الله وليّا مرشدًا، أحمد الله بما حمد به نفسه، وحمده به عباده المخلصون، وملائكته المقرّبون، وأنبياؤه المرسلون، وعباده الدعاة الصالحون الخيّرون، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيّدنا وسيّد الدعاة المؤمنين، سيّدنا محمّد المصطفى المختار الّذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وختم به النبيّين، وعلى أهله وأصحابه المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

إنّ من المُسَلَّم به أن يكتب الله الغلبة لدينه والحياة لشرعه، فيبعث في نفوس الناس حبّ العودة إلى الإسلام وشوق المصالحة مع الله، فيزيل أركان الجهل وغبار العجز عن هذا الدين، الذي أثقل بتخلّف المستسلمين المتخاذلين من المسلمين، وهنا يأتي دور الميزان.

ميزان جهاد الدعوة ودعوة المجاهدين، ميزان أولئك المخلصين من أهل العلم والدعوة والجهاد، لكي يبحثوا عن الداء ليجدوا الدواء، وأن يستقرئوا العلل من خلال الممارسة الواقعية لمعاناة أبناء أمّة الإسلام، وما يحيط بهم من خطر وما يهدّدهم من أذى، ومن خلال الموازنة الدقيقة لإمكانات مجاهدي الدعوة لنجدة الأمة الإسلامية، في مواجهتها مع أعدائها، ثم صياغة منهج يستمد مشروعيته من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

إنّ مقصدي الأول من كتاب «الميزان جهاد الدعوة ودعوة المجاهدين» أن أبيّن أنّ جهاد الدعوة لا يسمّى جهادًا حقيقيًا، إلّا إذا قُصد به وجه الله تعالى، وأُريد به إعلاء كلمته ورفع راية الحقّ، ومطاردة الباطل، وبذل النفس والروح في مرضاة الله. فإن أُريد به شيء دون ذلك من حظوظ الدنيا، فإنّه لا يسمّى جهادًا دعويًا على الحقيقة، فمن دعا وخطب في الناس ليحظى بمنصب، أو يظفر بمغنم، أو يظهر شجاعة، أو ينال شهرة، فلا نصيب له في الأجر، ولا حظّ له في الثواب، لذلك فإنّ إخلاص النيّة هو روح العمل الدعوي الجهادي، والإخلاص هو الذي يعطي لهذا العمل قيمته الحقيقية.

والمقصد الثاني من وراء هذا الكتاب هو حماية الثغور، تلك الثغور التي يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدوّ إلى دار الإسلام، ومن الواجب تحصين هذه الثغور تحصينًا منيعًا، كي لا تكون جانب ضعف يستغلّه العدوّ ويجعله منطلقًا له، وقد رَغَّبَ الإسلام في حماية الثغور، والثغور التي أتحدّث عنها في هذا الكتاب نوعان: الأول منها هو الثغور التي تكون على حدود بلاد المسلمين والواجب حمايتها، من خلال إعداد الجنود المجاهدين ليكونوا قوة للمسلمين. وثانيها: فهو ثغور منابر الدعوة والإعلام، المقروء والمسموع والمشاهد، ومواقع التواصل المختلفة الموجودة في الشبكة العنكبوتية. والواجب هنا حماية تلك الثغور التي يتسلّل منها إلى أبناء أمّتنا المسلمة دعاة الفساد والإفساد، دعاة الانحلال الأخلاقيّ والإلحاديّ.

إنّ حماية هذا النوع من الثغور يتطلّب نوعًا خاصًا ومخلصًا من الدعاة، وهم مجاهدو الدعوة وأصحاب دعوة الجهاد، إنّهم جيل جديد من الدعاة المجاهدين الذين سيقودون الأمة ويحيون الهمّة، ويعيدون للأمة كرامتها، ويصونون حدودها وحدود الله ويرفعون اللواء، لواء إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ، كلمة التوحيد.

أرسم من خلال كتاب «الميزان جهاد الدعوة ودعوة المجاهدين» الطريق نحو الدعاة الجدد، مبيّنا معالم ذلك الطريق الذي انتدب الله عزّ وجلّ الأمة الإسلامية لإعلاء دينه وتبليغ وحيه، وهي منتدبة كذلك لتحرير الأمم والشعوب، وهي بهذا الاعتبار كانت خير الأمم، وكانت مكانتها من غيرها مكانة الأستاذ من التلميذ، ومادام أمرها كذلك، وجب عليها المحافظة على كيانها الداخلي، والكفاح لتأخذ حقّها بيدها، والجهاد لِتَبَوُّءِ مكانتها التي وضعها الله فيها. وكلّ تقصير في ذلك يعتبر من الجرائم الكبرى التي يجازي الله عليها بالذلّ والهوان والانحلال، أو الفناء والزوال.

وقد نهى الإسلام عن الوهن في الدعوة إلى السلم ما دامت الأمة لم تصل إلى غايتها ولم تحقّق هدفها، وأعتبر السلم في هذه الحالة نوعًا من الجبن والرضا

بالدون من العيش، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد: ٣٥).

فطريق جهاد الدعوة ودعوة الجهاد هو طريق الأعليين عقيدة وعبادة، وخلقًا وأدبًا وعلمًا وعملًا، وهو طريق ظاهره كباطنه، وهو الطريق الذي يعلم السائر فيه أنّ السلم في الإسلام لا يكون إلا عن قوّة واقتدار، ولذلك لم يجعله الله مطلقًا بل قيّده بشرط أن يَكُفَّ العدوّ عن العدوان، وبشرط ألّا يبقى ظلم في الأرض، وألّا يفتن أحدٌ في دينه، فإذا وُجد أحد تلك الأسباب فالله أذن بالقتال، وهذا القتال الذي ترخص فيه الأنفس، ويُضحّى فيه بالمهج والأرواح، وإنّ ما نراه اليوم من دعاة الفساد والإفساد الذين يفتنون الناس عن دينهم، يستوجب التصدّي لهم من قبل مجاهدي الدعوة أصحاب دعوة الجهاد بكلّ ما آتاهم الله من قوّة.»

قبل كتابتي لكتاب «الميزان»، كان الله قد منّ عليّ وأكرمني بخوض حرب ضروس ضدّ العدوّ الصهيوني، على مدى أعوام انتفاضة الأقصى. في تلك الحرب الضروس أصبت بالشظايا والرصاص، وفي تلك الحرب أيضًا أكرمني المولى عزّ وجلّ، بأن مكّنني من قتل عشرات الصهاينة، نعم، عشرات الصهاينة، حيث وصل عدد قتلى الصهاينة سبعة وستين قتيلًا، أمّا عدد الجرحى الذين أصيبوا بإعاقات وعاهات دائمة فقد وصل إلى خمسمئة وعشرين صهيونيًا، وبعد ذلك أكرمني الله بأن أكون أسيرًا في أحد السجون الصهيونية، وإنّه ليحزنني أن أمضي عشرة أعوام داخل زنزانة العزل الانفرادي، وقد مكّنني الله داخل ذلك القبر والمعزل من أن أكتب.. وأكتب، فوصل عدد ماكتبت من كتب في الرواية وأدب المقاومة وإحياء فقه الدعوة والإفتاء إلى اثني عشر كتابًا، فالكتابة في الأدب المقاوم جهاد، والجهاد في حمل السلاح جهاد، وجهاد الدعوة جهاد، بل إنّ أحبّ أنواع الجهاد إلى قلبي هو جهاد الدعوة، ودعوة الجهاد.

تلك المساقات الأربعة، وخامسها السيرة الذتية، هي ما كنت أكتبه في القبر الذي عزلني الصهاينة داخله، عزلوا الجسد أما الفكر فبقي بعون الله وحمده حرًا طليقًا،

وأكبر دليل على ذلك هو ماتقرؤه عيناك أخي القارئ، فهذا الكتاب، كتاب (الشهيد الحيّ) هو الدليل الحيّ على فشل الصهاينة وهزيمتهم أمام إصراري على مواصلة المقاومة والجهاد في سبيل الله.

فقلمي بندقيّتي.. وكلماتي رصاصاتي

قاومت فكتبت «أمير الظلّ» ونشرته ووصل إليك

قاومت فكتبت «الماجدة» و «المقصلة: ونشرت ما كتبت

قاومت فكتبت «البوصلة» و «الميزان» ونشرت ماكتبت

وقاومت فكتبت «فلسطين» و «المقدسيّ» ونشرت ما كتبت

وقاومت فكتبت أقلام البندقية الأول والثاني «الحمساويّ» و «القسّامي» ونشرت ما كتبت

وأدعو الله أن يصل إليك أخي القارئ كلّ ما كتبت.. ونشرت. وإليك أخي القارئ أسماء الكتب التي كتبتها في عتمة عزل القبر الانفرادي وتنتظر اليوم الذي ترى فيه النور..

العقيدة القسّامية .....فكر

عقيدة الغراقدة .....فكر

معتوه في دائرة العقلاء .....رواية

وهم الراية.....رواية

الموت يذبح ويموت ..... عصف فكري

بيان أحكام الإسلام .....شرعي

منارات أرشدتني نحو الطريق.....فكر

الأمثال حقيقة الحكمة..... عصف فكري

وها أنا في هذه اللحظة أكتب (الشهيد الحيّ) وأسأل المولى عزّ وجلّ أن يصل إليك عزيزي القارئ قبل أن تصل إليه يد السجّان الصهيونيّ، أو يد غراقدة أوسلو، وأذناب التنسيق الأمني المقدّس.

يعتبر تهريب الأوراق التي أكتبها أمرًا يؤرّقني ويشغل بالي على الدوام، ففي كل مرّة أقوم فيها بكتابة كتاب أو رواية أو مجموعة قصصية، أقوم بإعداد خطة جديدة ليست للكتابة، بل لتهريب ما أكتب، فأنا لا أضع خطّة لما أريد كتابته بل أضع هدفًا ومقصدًا لما أكتب، أمّا التهريب فهو أحجية ولغز تحتاج وقتًا في الإعداد والاستعداد، أكثر بألف مرة من الوقت الذي تحتاجه الكتابة نفسها، فالكتابة قلم وفكرة ومجموعة ورق، أمّا التمكّن من تهريب تلك الأوراق التي ملئت بالأفكار التي خطّها قلم الرصاص، فيحتاج إلى خطّة، والخطّة تحتاج بعد عون الله وتوفيقه إلى الحنكة والمكر والدهاء، كيف لا وأنا أسير عند اليهود الخبثاء الماكرين؟!

وللتغلب على السجانين الصهاينة وأجهزة الأمن اليهودية المكلفة بمتابعتي، هنا داخل قبر العزل الانفرادي، وجب عليّ أن أدعو الله ليل نهار أن يَجعَلَني أَمكَرَ خَلقِه وأَكثرهم دَهاء.

نعم، أخي القارئ.. هذا كان دعائي أثناء صلاتي، وعندما أتوقّف لبرهة أثناء كتابتي، كنت أدعو الله سبحانه وتعالى وأناجيه وأرجوه بأن يجعلني ماكرًا، حتى أتمكّن من التغلب على خبث اليهود، فالذكاء وحده سلاح ضعيف إذا ما قورن بسلاح الخبث المتأصل بنفوس الصهاينة النتنة، لذلك يجب أن يرافق المَكرُ الذَّكاءَ إذا ما أردنا الانتصار على هذا العدوّ الخبيث.

المال كان سلاحًا أستعمله بحكمة ومكر من أجل تهريب الأوراق وإيصال الأفكار، فعلى سبيل المثال كتاب «الحمساويّ» وهو الكتاب الأول في سلسلة (مجموعة أقلام البندقية) قد كلّف إخراجه للنور بعد أن كتب في عتمة قبر العزل الانفرادي، أكثر من خمسة عشر ألف دولار، وتم ذلك عبر تهريب كاميرا تصوير صغيرة الحجم إلى داخل زنزانتي ومعزلي، ثم قمت بتصوير أوراق كتاب «الحمساوي» وتهريب بطاقة الذاكرة (Flash memory) التي خزّنتُ عليها الصور، وكان حجم تلك (الفلاشة) هو الأصغر بحيث لم يتجاوز حجمها الأظفر الصغير في الأصبع الأصغر من أصابع الطفل الصغير.

وللأسف لم أتمكّن من استعمال تلك الكاميرا إلا مرة واحدة فقط، وسبب ذلك تعذّر نقلي لتلك الكاميرا عندما قام السجّانون الصهاينة بنقلي من قبر العزل الانفراديّ الذي كنت مدفونًا فيه، إلى قبر جديد في سجن جديد غير السجن الذي كنت أقيم فيه.

قبل أن أتمكّن من تهريب تلك الكاميرا إلى زنزانة العزل، قمت بإعداد مخبأ خاصّ لها، وقد استغرق إعداد ذلك المخبأ قرابة الشهرين، وها هي تمكث داخله قرابة العامين دون أن يكتشفها الصهاينة، وكم أتمنى أن تتمّ إعادتي إلى تلك الزنزانة وذلك القبر حتّى أتمكّن من إخراج الكاميرا واستعمالها من جديد. بل كم أتمنى لو أصوّر بها كتابي هذا «الشهيد الحيّ»، وذلك حتى يحيا الكتاب وتحيا الكاميرا، فأنا ما زلت أبحث عن طريقة جديدة وماكرة وذكية لتهريب الأوراق والأفكار من هذا القبر الجديد الذي دفنت فيه، فالصهاينة يتفنّنون في موضوع نقلي من قبر إلى آخر، فتارة تجد القبر صامتًا صمت القبور، وتارة تجد القبر قد تحوّل إلى مصحّة عقلية لفاقدي العقول، ومرّة يدفنوني في قبر حفر في أقصى شمال فلسطين المحتلّة، ومرّة أخرى يحملون جثماني إلى صحراء الجنوب الفلسطيني، حيث الحدود مع سيناء المصريّة، فعلى مدار الأعوام العشر التي أمضيتها داخل قبور العزلة تم نقلي أكثر من عشرين مرة، في بعض القبور دفنت عدة أعوام متواصلة، وفي بعضها الآخر لم يدم وجودي سوى بضعة أسابيع، أو بضعة شهور. عزل ومعزول، وقبر ومقبور، وأوراق بفضل الله وعونه وتوفيقه دائمًا تنجح بأن ترى النور.

اعلم أخي القارئ الكريم، أنّ متعة الكتابة لا تعدل عندي متعة التمكّن من تهريب ما أكتب، فالكتابة عندي حالها حال المخاض قبل الولادة، أمّا العمل على تهريب الأوراق لترى النور، فهو الحياة الجديدة لمولود وُلد بعد مخاض عسر ومضنٍ ومتعب ومؤلم ومميت.

إن كتابي يولد مرتين؛ الأولى: بعد مخاض الأفكار التي تلد الأوراق الحيّة القوية، والثانية: بعد مخاض الأوراق التي تولد من رحم قبر العزلة ومن مدفن الأحياء، فتكون هي الوليد الوحيد ذا النور والهدى، الدالّ على الفكر المقاوم الموصل إلى العزّة والصمود والتحدّي والانتصار، وذلك يكون بمجرّد أن ترى الأوراق شمس الحريّة والنور، بعيدًا عن ظلام الأسر وقيد السجّان.

اللهم افكك أسر هذه الأوراق قبل أن تقبض روحي، اللهم حرّر هذه الأوراق قبل أن يعدمها السجان الصهيوني الخبيث الماكر، اللهم نجِّ هذه الوراق من غراقدة أوسلو، وأذناب التنسيق الأمنيّ المقدّس.

زناد القلم .. وأوراق الألم .. وانتصار الهمم

قتلوا الحواس.. فَبَقِيَ الإحساس

نعم، لقد تمكّن الصهاينة من قتل حواسي الخمس، الواحدة تلو الأخرى، فلم يبق لي داخل هذا القبر سوى الإحساس وما هو أبعد بألف مرّة من الإحساس!

قبر ضيّق عفن، جدرانه سوداء خشنة الملمس، إنه قبر الصمت الذي تمكّن الصهاينة من خلاله من دفن حواسّي الخمس بعد أن قتلوها، إلّا أن الله عزّ وجلّ وهبني الإحساس وما هو أبعد من الإحساس، فمنذ أن تمكّنت حركة المقاومة الإسلامية حماس من أسر أحد الجنود الصهاينة، واقتياده إلى محبسه في أحد السجون الخاصة والمخصصة لمن يقع أسيرًا من جنود العدوّ الصهيوني بيد كتائب الشهيد عزالدين القسّام، قام الصهاينة وسجّانوهم باقتيادي من معزلي في معتقل (أيشل) إلى معتقل وقبر جديد، وهو معزل معتقل وسجن (أيلون)، حيث صبّ الصهاينة جامّ غضبهم وحقدهم الأسود عليّ، وعندها أدركت أنّ ما مضى من أيّام عزل وتنكيل لم يكن إلّا مجرّد البداية، تلك البداية التي طالت أيامها ولم تنته، بل بدأت من جديد عندما نجح رجال القسّام الميامين في تنفيذ عملية (الوهم المتبدّد)، والتي تمكّنوا خلالها من أسر الجنديّ الصهيوني (جلعاد شاليط).

داخل قبري ومعزلي الجديد في سجن (أيلون) أصبحت أكثر قربًا مما هو أبعد من الإحساس، وخاصة بعد موت الحواس الخمس، فعلى الرغم من سماعي بأنّ هناك ما يعرف بأنه الحاسة السادسة، وهي حاسة الإحساس بالآخر والشعور به والتألم لألمه، إلا أنني لم أكن من المهتمين لأمرها، أو المتتبعين لشأنها وشأن من أنعم الله عليهم بها.

لقد قرأت في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أنّ سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يخطب على المنبر، ثم خرج عن الخطبة ووجّه حديثه لشخص لم يكن موجودًا بين الناس.

ولمّا سأل الصحابة سيدنا عمر ﷺ عن الذي حدث، قال لهم أنه رأى أحد قادة المسلمين وقد داهمه الخطر في ساحة المعركة والجهاد ضدّ جيش الكفار والمشركين. ولمّا سألوا ذلك القائد قال أنه سمع صوت سيدنا عمر وتوجيهاته.

كيف لسيدنا عمر أن يخاطب ذلك القائد الذي يبعد عنه مئات الكيلو مترات هناك في ساحة المعركة؟!

لا أدري، وكيف لذلك القائد أن يسمع صوت سيدنا عمر؟!

لا أدري. نعم عزيزي القارئ، لا أدري، وكيف لي أن أدري، فذلك علمه عند ربي.

وهنا أقول، ويشهد الله على ما أقول: « أنّني لا أدري كيف وأنا في جوف قبر العزل الانفرادي، قد رأيت الشيخ أحمد ياسين وهو يجلس مسبّحًا على كرسيه المدولب، ورأيت كيف حوّلت صواريخ (الأباتشي) الصهيونية، جسد الشيخ المقعد إلى أشلاء، وكيف استحال كرسيه المدولب إلى بقايا ركام؟!

لا أدري أخي القارئ، ويشهد الله أنّني شاهدت كلّ ما حصل وبتفاصيله الكاملة؛ وقتها كنت قد صليت صلاة الفجر، وجلست لأقرأ وردي القرآني اليومي، وإذا بي أشاهد عملية اغتيال الياسين أحمد. حزنت وبكت عيناي، ولكن ما باليد حيلة، وأنا داخل جوف هذا القبر بلا حول ولا قوة، ليتني كنت خارج قبري لكنت قد صنعت حزامًا ناسفًا وتمنطقت به، وفجّرته بعون الله وأمره بأعداء الله الصهاينة المجرمين الذين استباحوا دماء المسلمين، كل المسلمين، طفلهم وشيخهم.

لا، لن أكمل، فمنك العذر كلّ العذر أخي القارئ، فدمعي أقوى من رصاص قلمي. لقد استحضرتُ مشهد استشهاد الياسين، واستحضرت معه مشاعر الألم والعجز الضعف الذي كنت فيه في ذلك اليوم، الذي أودّ لو أنّه لم يكن، ولكن أين المفرّ من قضاء الله وقدره؟!

في ذلك القبر والمعزل شاهدت بأمّ عيني كيف حاصر جيش بني صهيون القائدين القساميين، (سيّد الشيخ قاسم) و (صلاح تلاحمة)، وكيف كانا يُقصفان بالصواريخ ويُمطران بزخّات الرصاص، فيُصابان وينزفان ويستشهدان بعد أن كانا يسبّحان، ويتشهّدان مودّعين مبتسمين.

كيف لي ذلك؟! لا أدري، ويشهد الله أنّي لا أدري ولا أعلم كيف، ولكنّ الله يعلم، فهو من أنعم عليّ بهذه الحاسة وهذا الابتلاء، نعم إنّه ابتلاء جديد يُضاف إلى ما أنا به من ابتلاء.

أمّي تصاب بجلطة قلبية وتدخل المشفى، فيضيق صدري، ويختنق نفسي حتى تشفى وتعافى وتغادر المشفى إلى فراش الراحة في البيت، فأرتاح أنا، ويرتاح صدري ويعود لي نفسي.

والدي يصاب بجلطة دماغية ويدخل المشفى، فيصاب رأسي بصداع يدوم أيامًا طويلة، ولا يشفى إلّا عندما خفّ ألم والدي، وعاد إلى البيت ليرتاح، وأرتاح أنا الآخر.

والدتي تصاب بجلطة قلبية جديدة، فأصاب أنا بشعور الجلطة وألم الإحساس وقساوة الابتلاء، ابتلاء على ابتلاء، وعتمة قبر ما بعدها ابتلاء وعتمة.

ليت الحواس الخمس تعود لي؛ لكي أرتاح من تلك الحاسة السادسة التي أتعبتني، وآلمتني ألمًا ما بعده ألم.

ليتني استشهدت وتحوّل جسدي إلى أشلاء متناثرة، فذلك أهون عندي من رؤية أشلاء أخوتي الشهداء، وهي تتناثر أمامي هنا داخل قبر عزلتي!

إنّ الشهيد يُقتل مرّة واحدة، أمّا أنا فأقتل المرة تلو المرة، أُقتل ألمًا عندما تتألّم والدتي، وأُقتل وجعًا عندما يتوجّع والدي، والله إني لأقتل وأُقتل وأُقتل عندما تستحضرني رؤية أخوتي الشهداء، فهذا يُقصف، وذاك يُحاصر، وهؤلاء ينزفون، وأنا أُذبح ألمًا لألمهم.

إنّ مرحلة موت الحواس الخمس مرحلة صعبة جدًا وأليمة من مراحل عزلتي، بل إنّها من المراحل التي يعجز القلم عن وصفها، لذا فقد آن الأوان لقلمي أن يصمت ويكفّ عن الكتابة عن تلك المرحلة القديمة الجديدة.

قُصفت غزّة من جديد، وسقط الشهيد تلو الشهيد، استشهد الشهيد القائد (أحمد الجعبري)، ومن قبله استشهد وزير الداخلية القائد والمجاهد (سعيد صيام)، ومن بعدهم استشهد العديد من القادة المجاهدين، والآلاف من الأبرياء الآمنين في غزة والضفة والقدس. لم تستحضرني مشاهد استشهاد معظمهم، وذلك بفضل الله وإلّا لكنت قد جننت أو أصبت بالعته والهذيان.

بعيدًا عن أشلاء الشهداء الطاهرة، ودمائهم الزكية، كان منظرٌ يستحضرني على الدوام، وهو منظري وأنا أحمل على كتفي أكياس الطحين البيضاء، من داخل أحد المستودعات في قطاع غزّة لأوزّعها على محتاجيها. أُعطي هذا كيسًا، وأُحضر لتلك كيسًا آخر، وأحمل أكياسًا جديدة لهؤلاء.

وداعًا لحواسّي الخمس، ومرحبًا بذلك الشعور المؤلم القاسي.

خواطر

اسمح لي أخي القارئ أن أفرّ بك وبنفسي بعيدًا عن موت الحواس، وبعيدًا عن ما هو أبعد من الشعور بالغير والإحساس.. إلى البطيخة نَفِرُّ، وعن ذات اللون الأخضر والطعم الحلو أكتب، فهي الفاكهة التي أشتاق إلى تذوّقها الآن الآن، نعم، وعذرًا منك لأنّني سأكتب عن البطيخة، تلك البطيخة التي لم تكن سوى بطيخة لا أكثر ولا أقلّ.

فأنا ومنذ عام ٢٠٠٣، وحتى يومنا هذا لم تلمس يداي بطيخة، ولم أتذوّق طعمها الحلو الذي كان فيما مضى مقصدي، إذا ما أردت تذوّق الحلو من الفاكهة، لكن ما باليد حيلة ولا سبيل للوصول إلى البطيخ، فلا بطيخ عندي في هذا القبر والمعزل.

هناك في دولة الكويت الحبيبة حيث ولدت وترعرعت، كان البطيخ يسمّى (الرِّقِي) وكان يُستورد من العراق، عندما كانت دولة، أمّا شكل البطيخ فقد كان بالنسبة لي عجيبًا غريبًا وصعبًا على الوصف، فهو كالشكل الآتي:

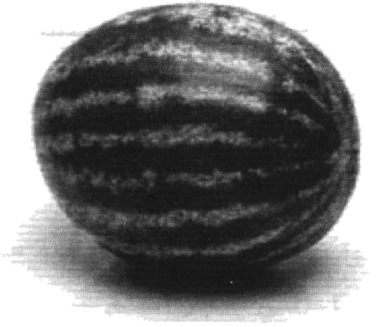

أمّا طعمه فقد كان أحلى ما يكون، حاله كحال البطيخ الأردني، دائري الشكل حلو الطعم، وليس مثل البطيخ الياباني مكعّب الشكل غبيّ المنظر، عديم الطعم والرائحة، لقد كان شكل البطيخة التي تناولتها في العاصمة اليابانية (طوكيو) على النحو الآتي:

كانت بطيخة مكعبة غبية، وكان ثمنها يعادل ثمن ألف بطيخة من ذلك البطيخ الأردني كرويّ الشكل حلو المذاق، ليتني لم أتناول تلك البطيخة اليابانية، فأنا مازلت حتى يومنا هذا أستنكر ثمنها، فهي مجرّد بطيخة، لا يميّزها عن غيرها من البطيخ سوى شكلها المكعّب الغبيّ.

مجرّد بطيخة كروية الشكل، أخضر لونها الخارجي، أحمر لونها من الداخل، حلوة المذاق طيّبة الرائحة، هي ما أرغب به الآن.. أرغب الآن بتناولها، لذلك هي عندك عزيزي القارئ مجرّد بطيخة عديمة القيمة، أمّا عندي هنا داخل قبري ومعزلي، فهي حلم صعب المنال، ويصعب الوصول إليه والاقتراب منه.

عندما تشتري البطيخة، اشترها وأنت تقدّر ما تشتري، وتناولها بالصحة والعافية وأنت تقدّر ما تأكل، وتذكّر أنّها ليست بطيخة، وإنّما هي حلم لأسير يحبّ البطيخ.

الفاكهة التي أشتاق إلى تذوّقها

النَّفيس والخَسيس

إنّها المحن التي تطهّر النفوس وتنفيها من الخبث، وتميّز بين المعدن النفيس، والمعدن الرخيص الخسيس.

هناك في قبو التحقيق ظهر وبان المعدن الخسيس للمرافق المنافق، للشهيد الحيّ عند ربّه (أيمن حلاوة)، فكشف المستور، وتبرّع بالكثير من المعلومات التي كانت أمانة عنده، فخان وباع.

وهناك أيضًا في قبو التحقيق، ظهر وبان المعدن الخسيس للمرافق المنافق، لي أنا الشهيد الحيّ في زنزانة قبر العزل الانفرادي (عبدالله البرغوثي)، فكشف ذلك الخسيس المنافق الذي رافقني الكثير من المعلومات والأسرار، التي كانت أمانة عنده، فخان وباع.

وهناك أيضًا المئات من أصحاب المعدن النفيس، الذين صمدوا في أقبية التحقيق، فحفظوا أسرار المقاومة وصانوا الأمانة، فكانوا كبلال ابن رباح وهم يردّدون: «أَحَدٌ..أَحَدٌ، والله لا أدنّس لساني بكلمة الكفر بعد أن طهّره الله بالإيمان».

مرافقون منافقون

حزين أنا وربّ الكعبة، لأنّني سأكتب عن موضوع أدمى قلبي وملأه حزنًا وألمًا، وأدمع عينيّ دمًا لا دمعًا، إنّه موضوع المرافقين المنافقين، وتحديدًا المرافقان المنافقان اللذان يرقصان طربًا على جثث الشهداء.

فأول هذين المرافقين يرقص طربًا على جثة الشهيد الحيّ عند ربّه، وبإذن ربّه (أيمن حلاوة)، وثانيهما يرقص هو الآخر طربًا على جثتي التي دفنها الصهاينة داخل قبر العزل الانفرادي.

كلاهما كانا لنا مرافقين، وكلاهما كانا منافقين خسيسي المعدن، كاذبي الكلمة، أسودي القلب، وخبيثي السريرة، كلاهما اعترف أثناء التحقيق معه من قبل أجهزة الأمن الصهيونية عندما اعتقلتهما.

وكلاهما استغلّ وجود الشهيد أيمن حلاوة في قبره عند ربه، ووجودي في قبري ومعزلي عند العدوّ الصهيوني من أجل أن يواصلا نفاقهما وكذبهما وتزويرهما للحقائق، فقلبوا الحقّ باطلًا، والباطل أحالوه بكلمتهم وقلمهم المسموم إلى حقّ، وهو حقّ المنافقين، لا حقّ الصدق والمجاهدين.

يكذبان ويكتبان.. وينافقان ويجادلان طوال الأعوام الماضية ولم يجدا من يتصدّى لهما، فأيمن حلاوة قد غيّبته الشهادة، وأنا غيّبتني عزلتي داخل هذا القبر والمعزل.

داخل قبري ومعزلي وصلني ضجيج طرب ورقص هذين المرافقين المنافقين على جثتي وجثة أخي الشهيد أيمن حلاوة رحمه الله، فسمعت ما قالا وقرأت ما كتبا، لكنّ وصول هذا الضجيج كان متأخرًا، بل متأخرًا جدًا، وذلك يعود لوجودي داخل هذا القبر والمعزل، لذلك تأخّر ردّي عليهما، فلم!.. ولم أكتب!

وها أنا أحمد الله لأنّني لم.. ولم!

فليس الشديد بالصرعة الذي يبطش بالباغي، إنّما الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب، ملكتُ نفسي وأسلمتُها لباريها، ووكّلت له أمري، وشكوت له ضعفي..

نعم.. أخي القارئ الكريم، ضعفي، فأنا شديد كلّ الشدّة على الكفّار الصهاينة، لكنّي رحيم على المسلمين، فهذان المنافقان ما زالا مسلمين، لذلك لم! ولم!

هما رمز الخيانة والكذب والدجل، وهما أيضًا من صاغا لنفسيهما الأمجاد الزائفة، فصدّقهما الغبيّ الساذج. أمّا الحرّ الأبي فقد استنكر كذبهما الصراح وردّه، لكنّما الأحرار في هذا الزمان هم القليل!

مرافقان منافقان بالا بماء زمزم، فبقي ماء زمزم طاهرًا نقيًا ربانيًا، وبقي هذان المنافقان رمزًا للخسّة، وأكل لحم الشهداء. هذان المنافقان تلقّفتهم الشياطين، توجّههم وتسيّرهم، فغدوا كالدمى تحرّكها الخيوط الشيطانية على المسرح أو كقطع الشطرنج، يلعب بها اللاعبون واللاعبات! ولا حظّ لهم في الكسب. بل إنهم الخاسرون.

لن أذكر أسماء هذين المنافقين، وذلك تأسّ برسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» فليس المقصود هنا التجريح الشخصي، بل التحذير والتنبيه من مثل هؤلاء المنافقين.

فنحن بعون الله، نقول الحقّ كلّ الحقّ، نجبُّ به الباطل كلّ الباطل، وإن لم ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (سورة سبأ: ٤٨).

*المنافق

المنافق: شخص هانت عليه نفسه، بقدر ما عظمت عنده منفعته.

المنافق: ممثل مسرحيّ، له كذب الممثل، وليس له تقدير المتفرجين.

عظامي تُكسر.. عظامي تُطحن

داخل جوف هذا القبر والمعزل تنقلب الموازين، وتختلّ المعايير، وتشتدّ البلوى، لذلك لا أخفيك سرًا أخي القارئ أنّي أجد نفسي في بعض الأحيان ضعيف القوة، قليل الحيلة، عاجزًا واهنًا.

فعندما يقع الأسير في الشدّة أو تلمّ به محنة أو ضائقة يعجز عن ردّها، يشعر بضعف ما بعده ضعف، لذلك يَجِدُ نفسه مندفعًا بشعور ذاتي إلى الله عزّ وجلّ يستجير به ويحتمي بحماه.

في هذا القبر والمعزل وصل بي الحال إلى أشدّ مراحل الضعف الإنساني، فأنا مجرد إنسان يجوع ويعطش، ويتألّم من سياط الجلّاد، لذلك التجأت إلى الله تعالى وتبارك مستجيرًا به محتميًا بحماه، وعندها عشت حياة روحية ربّانية عامرة، جعلت روحي ترتقي لتصل إلى الملأ الأعلى، ممّا أحال الصعب إلى هيّن سهل، ومكّنني من الثبات والصمود في هذه المحنة التي تحولت بفضل الله وقدره إلى منحة ربانية ما بعدها منحة، فألم الجسد يتضاءل، ويصغر أمام سموّ الروح، عظامي تُكسر.. عظامي تُطحن.

نعم، أخي القارئ الحبيب لقد حكم الصهاينة المجرمون على عظامي، بأن تكسر وتطحن جهارًا نهارًا، وقد حدث ذلك عندما فتح الصهاينة المدجّجون بكل أدوات القهر والتنكيل باب زنزانتي لينهالوا على جسدي الأعزل بهراواتهم وعصيّهم، وبركلات أقدامهم ولكمات أيديهم، فما كان منّي وأنا الأعزل سوى الردّ، وبكلّ ما آتاني الله من قوّة وعزم على هؤلاء المجرمين الصهاينة، الذين احتموا بدروعهم وعصيّهم، فركلتُ هذا ولكمتُ ذاك، واحتميتُ بدرع جسد هذا من هراوة وعصا ذاك، ثوانٍ ودقائق مرّت وكأنّها الدهر كلّه، رشّوا على وجهي الغاز الخانق، وصعقوا جسدي بالصاعق الكهربائي، فانهار جسدي وسقط أرضًا، وواصل الصهاينة ضرب جسدي، وأنا أرى ولا أرى، وأشعر بالوجع والألم ولا..

هاجت الرياح وزمجرت، وكشّر الصهاينة عن أنيابهم، فحطّموا عظامي، تحطّمًا جعلها كأنها طحنت بين حجري الرحى، ففبت عن الوعي، مغشيًا عليّ من شدّة ألم جسدي.

استيقظت بفعل الماء الذي سُكب على وجهي وسائر أنحاء جسدي، جسدي الذي ما عاد جسدي، فعندما فتحت عينيّ شاهدت الجلّادين الصهاينة حولي، وهم يضحكون ويفاخرون بما فعلوه، فأمرتُ جسدي بأن ينهض واقفًا، إلّا أنّه رفض أمري بعد أن بات عاجزًا عن الحركة، فأغلقت عينيّ حزنًا على عجز جسدي المحطّم، فأبى السجّان إلّا أن يواصل تنكيله بجسدي، فركلني عدّة ركلات، وألقى على وجهي دلوًا من الماء، فعاودت فتح عينيّ، وعاود جسدي رفض أمري بأن ينهض مدافعًا ومعاقبًا المحتلّ اللعين على فعلته الجبانة، على هذه الحال تركني الصهاينة ملقى على أرض قبر زنزانة غير زنزانتي، زنزانة خاوية فارغة باردة ميّتة.

أغلقت عينيّ مرة أخرى بعد أن نُكّل بي شرَّ تنكيل، وبتُّ ليلتي بعد أن شهدت ألوان العذاب، وابتليت بصنوف البلاء، وإنّي لا أخاف الموت بل أتمنّاه وأستعجل لقاه، فهبّي يا رياح الجنّة ويا نسمات الفردوس الأعلى، لعلّي أستشهد وألقى ربّي وأنا على هذه الحال، جسدًا نازفًا، وعظامًا محطّمة، وروحًا مؤمنة واثقة بالله وبنصره القريب، ولسانًا يردّد:

سـجـني خـلـوة
ونـفـيـي سـيـاحـة
وقـتـلـي شـهـادة

هذا ما أؤمن به إيمانًا عقديًا ثابتًا راسخًا، وهذا ما أردّده جهارًا نهارًا، غير آبهٍ بهؤلاء الصهاينة الطغاة المجرمين، ولا بهراواتهم، لا وربّ الكعبة.

ولكن كما يقال إن عرف السبب بطل العجب، ففي ذلك اليوم الذي صبّ فيه الصهاينة نيران حقدهم الأسود عليّ، كانت المقاومة اللبنانية تسدّد للصهاينة صفعة شديدة ومؤلمة،

وذلك عندما تمكّنت من تحرير كل الأسرى اللبنانيين من داخل السجون الصهيونية، مقابل ثلاث جثث لجنودٍ صهاينة، قتلتهم المقاومة اللبنانية، أثناء محاولتها أسرهم أحياء، تحرّر الأسرى اللبنانيون ودفنت جثث الجنود الصهاينة، فصبّ الصهاينة عندها جامّ غضبهم وحقدهم الأسود على جسدي الأعزل.

علمت سبب ما قام به الصهاينة، عندما زارتني المحامية بثينة دقماق (رئيسة مؤسسة مانديلا للدفاع عن حقوق الأسرى الفلسطينيين) في معتقل عسقلان، وأخبرتني عن ما جرى، وكيف تحرّر الأسرى، ودفنت الجثث، فأخبرتها عن سبب الجبيرة التي لُفّت بها يدي هذه وقدمي تلك، وعن سبب تلك الضمادة التي تزنّر أضلعي، فدمعت عيناها حزنًا على حالي.

فقلت لها: «لا تحزني بالله عليك، فما حدث لا يعدو كونه ابتلاء من الله، وأنا راضٍ بل وسعيد بما ابتلاني به الله تعالى وتبارك»

ورويت لها الحديث النبوي الذي قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلّم: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشدِّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال: له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدّة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بُؤس قط ولا رأيت شدّة قط»

وأردفتُ قائلًا: «هنيئًا يا أختاه لمن أوذي في سبيل الله، ثم جاهد وصبر، وتبًا لمن آذى مجاهدًا، فاكتبي يا أختاه، وخطّي بقلمك، ما تقوله شفتاي، هنيئًا للمقاومة، وهنيئًا للأسرى المحرّرين حريّتهم، وصبرًا للأسرى خلف القضبان، فالقسّام قادم، ومعه مفاتيح الفرج والحريّة بإذن المولى عزّ وجلّ فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، ابدؤوا أخوتي الأسرى الأحبّة بعدّ الأيّام، فيوم حريتكم قريب، بل إنّه أقرب من قريب... إلخ»

كتبت المحامية ما أمليته عليها من تصريح صحفيّ هنّأت من خلاله الأسرى اللبنانيين الذين تحرّروا، وواسيت من لم يكتب الله لهم الحرية والفرج من الأسرى الفلسطينيين، عبر صفقة تبادل الأسرى، التي أجراها المقاومون اللبنانيون مع العدو الصهيوني، وأكّدت لأخوتي وأخواتي الأسرى الفلسطينيين أن حريتهم قادمة لا محالة، فالقسّام أقسم وأكّد أنّ هناك صفقة لتبادل الأسرى قادمة على الطريق، طريق العزّة والكرامة والمقاومة، طريق النصر والتمكين، طريق حرية الأسرى الذي خطّ القسام معالمه المتمثلة بالعمل الجهادي النوعي، وبأسر الجنود الصهاينة لمبادلتهم بأسرانا ومجاهدينا القابعين خلف أسوار سجون بني صهيون، وسجون سلطة غراقدة أوسلو، وأذناب التنسيق الأمني المقدّس.

فالحرية قادمة، والنصر قادم، فنحن بحمد الله وإذنه على حق، ومادمنا على حق فلن يخلف الله وعده لمجاهديه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (سورة غافر: ٥١).

طحنوا عظامي بعد أن حطّموها، ونسوا أن الحديد يُصهر بالنار قبل أن يُصَبَّ، ويُطرق قبل أن يُصبح فولاذًا، عظامي فولاذ، عقيدتي فولاذ، وسأنتصر بإذن من أنزل الحديد وأرسى الجبال أوتادًا.

أَمرتُ جسدي بأن ينهض واقفًا.. إلّا أنّه رفض أمري

هذيان حرب البقّ

في إحدى الليالي التي علمت فيما بعد أنها ليلة ماطرة، داهم السجانون زنزانة القبر الذي دفنت فيه، وقاموا بعد تكبيل يديّ وقدميّ بقلب محتويات الزنزانة رأسًا على عقب، بعد ذلك نقلوني إلى زنزانة ذات سقف حديدي مليء بالقضبان الشبكية، والتي كانت تستخدم كساحة ضيّقة للتنزّه، وبقيت في تلك الزنزانة ذات السقف الشبكي لساعات طويلة، واصل خلالها المطر انهماره على جسدي المكبّل، وتمكّن عندها البرد من النفاذ إلى جوف عظامي، فأصبت بنزلة برد كانت كفيلة عندما أعادني الصهاينة إلى زنزانتي بأن أمرض وأهزل وأرتعش وأصاب بالحمى والهذيان، وما أدراك ما الهذيان؟! إنّه الوعي، واللاوعي، واليقظة والغيبوبة، والإدراك والتوهان، إنه الهذيان، إنّه كلّ ذلك وأكثر.

شفاني المولى عزّ وجلّ من الحمى والهذيان والتوهان الذي صاحب الحمى والهذيان، لكنّه ابتلاني بأسراب من حشرة البقّ اللعينة، التي استغلّت هزالي ومرض جسدي لتنقضّ عليه، ولتقوم بلسعه بقرصاتها التي جعلتني لم أذق للنوم طعمًا، ولا للراحة لونًا.

أسراب البقّ اللعين استوطنت زنزانتي وقبري ومعزلي، لذلك وجب عليّ إعداد خطّة للتصدّي لتلك الأسراب اللعينة، خطّة جعلتني أنام مبتلًا؛ فقد كانت الخطّة التي اتبعتها للتخلص من لسعات حشرة البقّ تتمثّل بإغراق وتبليل قطعة الإسفنج التي أنام عليها، وإغراق أرضية قبري ومعزلي بالماء، فكانت ملابسي هي الأخرى تصاب بالبلل، بل إنّها كانت تصاب بشلال فيضان الماء الذي كنت أواصل سكبه على الأرض وقطعة الإسفنج، وعلى جسدي وملابسي.

وبقيت على هذه الحال حتى أنجاني الله عزّ وجلّ فقام الصهاينة بنقلي إلى زنازين العزل في معتقل (شطة) الواقع في الشمال الفلسطيني، وفي الطريق إلى معتقل وسجن (شطة)، وجدت نفسي أدير حوارًا بين سرب من حشرة البقّ الأوسلوي، وسرب آخر من حشرة البقّ الصهيوني، وسرب ثالث من حشرة بقّ الأعراب.

هذيان حرب البقّ

قال البقّ الصهيوني: «نحن أسياد العالم، لأنّنا أسياد أسراب البقّ في كافة أرجاء هذا العالم الحقير، فما دمنا أسياد البقّ فنحن إذاً أسياد العالم! أليس كذلك يا بقّ أوسلو يا عبدنا المخلص؟! أليس كذلك يا بقّ الأعراب الخائنين البائعين للوطن والدين؟!

بوجه عابس غاضب، وبعد أن ارتدى نظّارته، قال رئيس سلطة البقّ الأوسلوي:» لا، وألف لا، لستم أيها البق الصهيوني أسياد هذا العالم، ولسنا عبيدًا لكم، بل نحن البقّ الأوسلوي أسيادكم ولن أقول المزيد.»

ردّ البقّ الصهيونيّ قائلًا: «وكيف ذلك أيها العابس الغبي العبثي؟! هات ما عندك، أوَلسنا نحن أسيادك الذين جعلوا منك رئيسًا لسلطة البقّ الأوسلوي؟! بعد أن كنت لقيطًا من لقطاء منظمة التدجين (الفلس طينيّة) ألم ندفع لك الفلس والدينار والدرهم والدولار؟! أولم تبع لنا الطين كلّ الطين الموجود في (فلسطين)؟!

ازداد عبوس العابس وخلع نظارته وقال: «لم أبع، ولم تدفعوا لي، فأنا سيد بق أوسلو، وأنا ابن البقّ البهائي، لذلك فأنا أفعل ما أفعل عن عقيدة وإيمان، أوَلم أقتل أبناء القسام؟! أولست أنا من سجن أبناء حماس؟! أم أنكم نسيتم أني من أمر بتعذيب هذا أو سلخ جلد ذاك؟! ألم أحارب القرآن؟! أم أنكم أيها البقّ اليهودي الحبيب لا تذكرون كيف منعت جلسات تدارس القرآن بعد أن أغلقت مراكز تحفيظ القرآن التي كانت الحركة الإرهابية حماس تديرها؟!

ألست أنا العابس الذي منع الزكاة وصادر الأموال؛ ليجعلها مصدر دخل لجهاز البقّ الوقائي، وجهاز البقّ المخابراتي؟!

مصاصو دماء أنتم يا بقّ اليهود الحبيب، لكنّكم مصاصو دماء ناكرون لمعروفي عليكم، ألم أعطكم الإذن تلو الإذن لتمتصّوا دماء أهل غزة في الحرب تلو الحرب؟! ألست أنا؟! نعم أنا من وفّر لكم الغطاء والحماية، لتواصلوا قتلكم لأهل غزة دون أن يزعجكم أحد، أم نسيتم نَخبَ دماء غزة حلو المذاق الذي شربنا منه معًا حتى الثمالة؟!

ردّ البقّ الصهيونيّ قائلًا: «نعم، كلّ ما ذكرته صحيح، ولكن يجب ألّا تغفل أو تنسى أنّك لولانا ما كنت ولا صرت، فلولا أسراب بقّنا العسكري في الضفة لكانت حماس ورجالها القساميون قد طردوك أو داسوك أو سحقوك بأحذيتهم، نعم أيها العابس تمامًا، داسوك وسحقوك كما فعلوا هناك في قطاع غزة الذي تكره»

ردّ عابس البقّ الأوسلوي: «نعم، وألف نعم، أنا أكره غزة كرهًا ما بعده كره، بل إنّني أتمنّى لو أنّ البحر يبتلع هذا الكابوس الذي اسمه غزّة.»

قال البقّ الصهيوني: «إذاً نحن أسيادك لأننا حماتك وصنّاعك، ألم نصنع جهاز البقّ الوقائي؟! ألسنا نحن من جهّز لك جهاز البقّ المخابراتي أفضل تجهيز؟! سيارات وهواتف ومقرات وعاهرات لا يضاهي عهرهنّ إلّا بقّك الرئاسي، الذي تحتمي به من غدر الداجل والراجب والطاير والأحمق.. غبيّ أنت أيها العابس، إن نسيت أنّك لولانا ما كنت ولا صرت ولا حييت.»

ازداد العابس عبوسًا، وأمسك نظّارته وألقى بها أرضًا، وداس عليها محطّمًا عدساتها، وخرّ على ركبتيه ساجدًا لسرب بقٍّ عسكريّ صهيونيّ كان يمرّ من أمام مقرّ حكمه في المقاطعة السوداء، سجد وسجد ثمّ قال: «لكم السمع والطاعة يا أسياد العالم، ويا أسياد أسراب البقّ، واعذروني، فلولاكم ما كنت، لولاكم ما كنت.

قبل أن ينهي العابس كلامه نهض سيد بقّ الأعراب، وقال بصوت عالٍ ومدوٍّ: «إنّ الغبيّ العابس لايمثل إلا نفسه، وفي أحسن الأحوال قد يمثل البقّ الأوسلويّ، وبقّ منظمة التدجين الفلس طينية، أمّا نحن بقّ الأعراب فممثّلنا معروف، ونحن لا نقرّ لكم يا معشر البقّ الصهيوني بسيادة العالم، فلستم سادتنا، ولسنا عبيدًا لكم.»

قهقه سرب البقّ الصهيوني، وضحك كثيرًا، ثمّ صمت، فتقدّمت بقّة صغيرة لعينة الشكل والمنظر والمحضر، وقالت بصوت ساخر: «أتريدون منّي أن أصفق لكم يا بقّ الأعراب، كما سبق أن صفّق لكم الجمهور العربي والإسلامي، عندما أعلنتم (لاءات) مؤتمر الخرطوم الشهير، لا صلح، لا اعتراف، لا مفاوضات؟!

أم كما صفقوا لكم عندما أعلنتم عن شعاركم المخيف الذي جاء فيه: «ما أخذ بالقوّة لا يستردّ إلّا بالقوّة»؟!

اسمع يا سرب بقّ الأعراب، نحن أسيادكم، نحن الذين نصّبناكم في مناصبكم، هذا أمير وذاك ملك، وهؤلاء رؤساء دول وحكومات، وكلكم مجرد بقّ يمتصّ دماء الشعوب، وينهب الثروات ويغرق بالنزوات والشهوات. هيّا يا بقّ الأعراب، افتحوا لنا بئر بترول أو برميل نفط طازج حتى نشربه ونثمل.

ارتدى سيد البقّ وملك ملوك بقّ الأعراب عباءته، بعد أن صبغ بالأسود لحيته، وأطلق عنانه لكرشه المنتفخ، وجلس على كرسيّه المخمليّ ذي الأرجل البرميليّة المليئة بالنفط الطازج وقال: «أمجنونة أنت يا بقّة بني صهيون الفاتنة، أم أنكِ لم تسمعي الأخبار؟! افتحي التلفاز وقلّبي قنواته الفضائية، أو ادخلي الشبكة العنكبوتية وتصفّحي المواقع الإلكترونية، لعلّك تشاهدين ثورة الشارع العربي، ولعلّك تدركين أنّنا أصحاب الأمر، الذي سيقلب الميزان ويقتل الثورات، ويحيل شارع الربيع العربي إلى بركان صيف حارق.

نحن بقّ الأعراب من سيحمي عرش مملكة البقّ الصهيوني، لذلك نحن أسيادكم، لأنّنا حماة عرشكم، ألسنا نحن الذين مكنّا الجنرال من حكم مصر؟!

أم نسيتم أنّنا نحن بقّ العربان، من دفع لأمريكا ثمن الصواريخ والقنابل التي قصفتم بها غزّة، المرة تلو المرة، حتى تقضوا على كتائب القسّام، ولتعاودوا احتلال آخر قلعة من قلاع الإسلام؟!

أغبياء أنتم يا بقّ بني صهيون إن نسيتم من نحن، ألسنا نحن من قضى على الخلافة العثمانية التي كانت تقف عقبة أمام تحقيق حلمكم في البكاء على أسوار حائط المبكى بعد أن دمّرنا حائط البراق -الذي ربط عنده النبي دابته قبل صعوده إلى السماء-؟!

نهض العابس على قدميه بعد أن جمع بقايا نظارته وقال بصوت ماكر خبيث: «يا معشر أسراب البقّ الصهيوني والأوسلوي والأعرابي، اسمعوا وعوا: كلنا بقّ وكلنا مصاصو دماء، وآكلو جيف وقاتلو أطفال ومرمّلو نساء، ألسنا ناهبي نفط وغاز؟!

أم أنّكم نسيتم أنّكم أصحاب هدف واحد ووحيد، هدف لا نحيد عنه، ولن نكلّ أو نملّ حتى نصل إليه؟! ألا تذكرون أنّ هدف البقّ أينما وجد هو القضاء على الإسلام والمسلمين؟!

قم يا سرب بقّ الأعراب وعانق إخوانك في الدم والهدف، إخوانك بق بني صهيون، وأنتم يا بقّ أوسلو عانقوا إخوانكم وأحبتكم أسراب البقّ الصهيوني والأعرابي..!

توقّفت سيارة نقل الأسرى، أمام سجن ومعتقل (شطة)، وتوقف معها هذياني، وهذيان الحرب الكلامية التي كان يدور رحاها بين أسراب البقّ.

وما هي إلّا دقائق حتى فتح الباب وتمّ إنزالي من تلك السيارة وإخضاعي لتفتيش دقيق، ثمّ إلقائي في جوف قبر ومعزل جديد.

لأجد هناك سربًا من بقّ القبور والمعازل، الذي تربّى وتدرّب على تحويل حياة الأسير إلى جحيم، نعم تربّى وتدرّب هناك في مدرسة بقّ سلطة أوسلو، وأكاديمية بقّ الأعراب، وجامعة البقّ الصهيوني.

بقّ هنا، وبقّ هناك، بقّ أوسلوي يقتل أبناء الضفة الحمساويين والقساميين المجاهدين، بقّ يقتل أبناء الأخوان المسلمين حماة الدين، بقّ يقتل ويقصف أبناء غزة العزة، بقّ أوسلوي لعين، وبقّ أعرابي متأسلم مجرم، وبقّ صهيوني قاتل.

كلّهم بق، وقبري ومعزلي الجديد فيه سرب من البق، سأدوسه بحذائي الذي سبق لي أن دست به رؤوس الصهاينة هناك في ساحة المعركة، قوموا من سباتكم ودوسوا البقّ، دوسوا البقّ قبل أن يمتصّ ما تبقى من دم في أجسامكم، دوسوا البق حتى تحموا الإسلام، دوسوا البق حتى تحموا المقاومة وتحرّروا فلسطين، كلّ فلسطين بقدسها وأقصاها.

هذيان حرب البق

الحمساويّ

من جوف هذا القبر والمعزل، أظنّ (واهمًا) أنّني أستطيع مواصلة عملي الجهاديّ، وذلك من خلال الكتابة (التوجيهيّة والتوعويّة والتحريضيّة)، لذلك أمسكت بالقلم، وضغطت على زناده، فأطلق شعلة منيرة، أسميتها (مجموعة أقلام البندقية) بأجزائها المتعدّدة، ولقد وجدت أنّ كتاب الحمساويّ يجب أن يكون أوّل جزءٍ في تلك المجموعة.

وهنا أسأل نفسي، بعد أن انتهيت من كتابة مجموعة أقلام البندقيّة بأجزائها المتعدّدة، ونجحت في تهريبها من جوف هذا القبر والمعزل: «هل كنت واهمًا ومخطئًا لأنني ظننت أنّني أستطيع مواصلة عملي الجهاديّ بالكتابة، وتحديدًا الكتابة الفكريّة التي أسلّط من خلالها الضوء على أبجديّات العمل التنظيمي والتصوّر الحركي؟!»

لست أدري، وكيف لي أن أدري، وأنا دفين في جوف هذا القبر والمعزل. ورغم ذلك سأواصل الضغط على زناد قلمي ليطلق المزيد، والمزيد من الجمل والأفكار التوجيهية والتوعويّة والتحريضيّة، وأترك لك أخي القارئ الحكم على ما أكتب.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: ٨٨).

هاك عزيزي القارئ الجزء الأول من أجزاء مجموعة أقلام البندقية (الحمساوي)، حيث كتبت: « يجب أن يدرك الحمساويّ أنّه ابن لجماعة الإخوان المسلمين، وابن لحركة المقاومة الإسلامية حماس، وأنّه النصير والداعم لكتائب الشهيد عزالدين القسام، فهو ينتمي للحركة التي أثبتت أصالتها وثباتها وقدرتها على البقاء واستعصائها على التذويب والإفناء رغم المحن الكبرى التي مرّت بها وتعرّضت لها، وهو ابن حركة تكمن ولكنها لا تزول، وتنكمش ولكنها لا تموت، ولن تموت بإذن الله.

نغزوهم... ولا يغزوننا!

هذا هو التمهيد الذي قدّمته قبل الولوج إلى قلب كتاب الحمساويّ:

«أحمد الله تبارك وتعالى، وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه، وأصلي وأسلم على رسولنا وقائدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن اهتدى بهديه وسار على طريقه إلى يوم الدين، وبعد:

أخي المجاهد، اجلس بنا نؤمّن ساعة بين يدي (الحمساوي) صاحب مجموعة «أقلام البندقية» و«أمير الظلّ»، لعلنا نتمكّن من استذكار الهدف والوسيلة والثوابت والمبادئ الحمساوية الراسخة الأصيلة. ولعلك تجد في مجموعة «أقلام البندقية» ما يروي عطش القلوب والعقول التي اعتراها الجفاف، ولعلها تنتعش بعد الظمأ؛ لترتوي وتروي ساحات العزّة والمقاومة والكرامة، ولترفع الراية خفاقة عالية، ولتردّد بصوت عالٍ مهيب: «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود، خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد قد عاد، جيش محمد قد عاد، جيش الإسلام والقسام قد عاد.. قد عاد»

M 75 قد عاد لنغزوهم لا يغزوننا

أخي الحمساوي المجاهد، اعلم أنّني من خلال كتاب «الحمساوي»، أسعى بعون الله عزّ وجلّ إلى تسليط الضوء على أبجديات العمل التنظيمي والتصوّر الحركي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، وذلك من خلال مجموعة «أقلام البندقية»، والتي تمثل مجموعة من الومضات الحركية والفكرية والمحاضرات التي تؤدّي مجتمعة إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة والتساؤلات المهمّة، التي أرى أنه من الواجب، على كل من ينتمي لصفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكلّ مناصر لها أن يعلم ويعي الإجابة الواضحة الوافية عنها. ففي «الحمساوي» ستجد الهدف والوسيلة والثوابت والمبادئ الحمساوية، وستجد أيضًا شرحًا للواجبات والشروط اللازمة لكي تكون حمساويًا، وستخطو مع الحمساوي أولى الخطوات نحو طريق القيادة والريادة، وستجد الدواء والشفاء من أمراض القلوب، حتى تكون مع زمرة أصحاب القلب الواحد.

وفي «الحمساوي» ستجد عند مهندس العقول، إجابات وافية وكافية، على التساؤلات التي تدور في ذهنك وعقلك، وستجد أيضًا ومضات من هنا وهناك.

أخي الحمساوي: أرجو من الله عز وجل أن أكون قد استطعت توضيح ما ينبغي توضيحه، في هذا المقام، غير زاعم لنفسي الكمال ولا مدّعٍ لها العصمة. فما كان من صواب فبتوفيق الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله منه، وأرجو من الأخوة والأخوات القرّاء الكرام، أن يعلموا علم اليقين، أنني ابن لجماعة الإخوان المسلمين، وعضو في حركة المقاومة الإسلامية حماس، ومجاهد مقاتل في صفوف كتائب الشهيد عزالدين القسام، لذلك إذا ما ارتأت الجماعة والحركة والكتائب أنّني قد أخطأت أو قصّرت في حرف أو كلمة أو جملة فللجماعة والحركة والكتائب الصواب كلّ الصواب، وما الخطأ إلّا مني ومن الشيطان.

تلك كانت مقدمة كتاب «الحمساوي»، أمّا ما احتواه ذلك الكتاب فأترك لك حريّة البحث عنه، إذا ما قدّر المولى عزّ وجلّ لهذا الكتاب أن يرى النور، لكن لن أحرمك أخي القارئ من خاتمة كتاب «الحمساويّ»:

«ما أحوجنا أخي الحمساوي المجاهد ونحن نسير على درب المقاومة والكرامة إلى تثبيت الله لنا، فلا تردّد ولا شكّ ولا بُعد ولا عودة عن درب المقاومة والواجب مهما ثقلت المصاعب أو كثرت، والله سبحانه وتعالي يمنّ بذلك على الذين آمنوا.

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٧).

اللهم ثبت أقدامنا على دربك، وأنره لنا بنورك حتى نسير على هدًى وبصيرة، دون انحراف أو انزلاق في منعطفات تبعدنا أو عثرات تقعدنا عن مواصلة المسير على درب المقاومة والكرامة.

أخي الحمساوي، استعن بالله ولا تعجز، وأسأل الله الصبر والثبات، وعليك بكتاب الله، تدبّره واتلُه حقّ تلاوته، ففيه الزاد الوافر على طريق الجهاد، وقف طويلًا عند السور والآيات التي تتناول الجهاد والقتال في سبيل الله، واحفظها لو استطعت، فإنها ستزوّدك بكلّ ما تحتاج إليه في جهادك وقتالك لأعداء الله من زاد، واقرأ وتدبّر سيرة إمام المجاهدين، سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم وصحابته الغرّ الميامين، وما في الغزوات من صور رائعة للجهاد، ونماذج فريدة للتضحية والفداء، والصبر والحكمة والإيثار والإعداد والتخطيط.

ختامًا، والله إني لأشعر بالعجز والإشفاق على نفسي، لأنني لا أجد سبيلًا لنصرة الله والمقاومة غير قلمي، قلمي قلم الرصاص، فما عاد بحوزتي سواه، فلا بارود رصاص ولا بندقية.

فلك أخي الحمساوي المجاهد، أهدي مجموعة «أقلام البندقية»، أهدي الحمساوي ما كتبه قلم الرصاص، حتى تتمكّن من حمل بندقيّة بارود الرصاص.

تمّ بحمد الله
أمير الظل
الشهيد الحيّ

القسّاميّ

نغزوهم... ولا يغزوننا!

بهذه الجملة بعد بسم الله الرحمن الرحيم بدأت كتاب «الحمساوي»، وها أنا أبدأ بنفس الجملة كتاب «القسامي»، المولود الثاني لـ «مجوعة أقلام البندقية»، عندما كتبت المقدمة التمهيدية لكتاب «القسامي»، كان لا بدّ أن من تشتمل المقدّمة على جزء من مقدّمة كتاب «الحمساوي»، فكانت مقدّمة كتاب «القسامي»على النحو الآتي:

«في «الحمساوي» ستجد الهدف والوسيلة والثوابت والمبادئ الحمساوية، وستجد شرحًا وافيًا للواجبات والشروط اللازمة لكي تكون حمساويًا، وستخطو مع الحمساويّ أولى الخطوات على طريق القيادة والريادة، وستجد الدواء والشفاء من أمراض القلوب حتى تكون مع زمرة أصحاب القلب الواحد، وفيه ستجد عند مهندس العقول إجابات وافية وكافية على التساؤلات التي تدور في ذهنك وعقلك، وستجد أيضًا ومضات من هنا وهناك.

تلك أخي المجاهد، كانت مقدّمة كتاب «الحمساوي»، المولود الأول لـ «مجموعة أقلام البندقية»، الذي أدعو الله في علاه أن تكون قد قرأته، وعملت بما جاء فيه، وإلّا فإنني أرفض رفضًا قاطعًا أن تقرأ كتابي هذا الذي بين يديك كتاب «القسامي» الابن الثاني لـ «مجموعة أقلام البندقية»، فلا يعقل أن تقرأ «القسامي» ما لم تكن إخوانيًا حمساويًا فاهمًا ومدركًا للهدف الحمساويّ، وعالمًا بالوسائل والثوابت والمبادئ الحمساويّة، ومجاهدًا وملمًا وملتزمًا بالواجبات والشروط اللازمة لتكون حمساويًا ورجلًا للعقيدة، ثمّ قساميًا قادرًا على الريادة والقيادة.

أخي المجاهد الحمساويّ الذي يسعى لأن يكون قساميًا مطاردًا لقوّات أمن العدوّ الصهيونيّ، وقطعان مستوطنيه القتلة المجرمين المحتلّين. اجلس.. نعم اجلس بنا نؤمّن ساعة بين يديّ «القسامي» لعلنا نتمكّن من فهم قلم نداء عقل الواقع الذي ألزمنا بالاصطفاء في الجنديّة والتجنيد، والمرشد نحو قواعد وأبجديات التخطيط في العمل الجهادي الفاعل والمتواصل.

ولعلك تجد في قلم العمل الأمني القسامي، إضاءة جليّة على أهميّة العمل الأمني وخفاياه، ومقصلة حادة النصل لتقطع بها رأس من سقط في مستنقع الخيانة والعمالة، ففي هذا القلم سترشدك منارة التصدي للعملاء نحو شاطئ النجاة والانتصار.

وفي قلم المطارِد القسامي ستتعلم كيف تكون مطارِدًا، لا طريدًا، ففيه ستجد صفات المطارِد وواجباته، وستجد أبجديّات إدارة أمن المجموعات القسامية المطارِدة.

وفي قلم العمل الأمني الصهيوني، سنستعرض معًا موضوع الأسر والاعتقال، حتى نواجه نظريّة التحقيق الصهيونية المتطورة، ونكشف أساليب التحقيق وخفاياه. وبعد القلم.. أقلام البندقية التي نتطرّق فيها إلى الحرب النفسية إعدادًا واستعدادًا وإلى حرب العقول والتكنولوجيا، لنستزيد علمًا ومعرفةً فحذرًا وحرصًا حتى نتمكّن من الانتصار. وسنختم بقلم الوصايا القسامية، وصايا العصف الفكري الإخواني الحمساوي القسامي، الذي تفوّق وانتصر في معركة العصف المأكول.»

لقد ذيّلت مقدمة كتاب «القسامي»، بما سبق أن كتبت في مقدّمة كتاب «الحمساوي»، وذلك لإيماني المطلق بما قدّمت قولًا وعملًا، فقد كتبت وقلت.

أخي ابن الإخوان وحماس والقسام، أسأل الله عزّ وجلّ أن أكون قد استطعت توضيح ما ينبغي توضيحه في هذا المقام، غير زاعم لنفسي الكمال، ولا مدّعٍ لها العصمة. فما كان صوابًا فبتوفيق الله عزّ وجلّ وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه. وأرجو من الإخوة والأخوات القراء الكرام أن يعلموا علم اليقين أنّني ابن لجماعة الإخوان المسلمين، وعضو في حركة المقاومة الإسلامية حماس، ومقاتل مجاهد في كتائب الشهيد عزالدين القسّام، لذلك إذا ما ارتأت الجماعة أو الحركة أو الكتائب أنني قد أخطأت أو قصّرت في حرف أو كلمة أو جملة أو فكرة، للجماعة والحركة والكتائب الصواب كلّ الصواب، وما الخطأ إلّا منّي ومن الشيطان الرجيم.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: ٨٨).

وقد ختمت كتاب «القسامي» بالخاتمة الآتية: «وفي ختام كتاب «القسامي» أذكّرك أخي المجاهد القسامي ابن حماس والإخوان، أنّه من فضل الله علينا أن جعلنا من أهل فلسطين.. أهل الرباط، وزاد فضله علينا أن هدانا إلى طريق الدعوة والحقّ، بأنّنا أبناء جماعة الإخوان المسلمين، وحركة المقاومة الإسلامية حماس، والتي تعتبر الوسيلة التي نتقرّب من خلالها إلى الله.

أخي القسامي، إنّ ابن الأخوان كما ابن حماس، وابن حماس كما ابن القسّام، كلّهم مجاهدون قائمون، وكلّهم مخلصون محافظون على دوام شعلة الصراع ضد العدوّ الصهيونيّ المحتلّ، حتى تحرير فلسطين بقدسها وأقصاها من دنس هذا العدوّ الصهيونيّ المجرم، الذي يفكّر ليل نهار كيف يقضي على هذه المسيرة الإخوانية الحمساوية القسامية المباركة، مستخدمًا كل الطرق والأساليب الدنيئة القذرة، إضافة للقتل والإرهاب والإجرام للنيل منّا، فنحن أخي القسامي السدّ المنيع والدرع الحامي، ونحن أيضًا طيور الأبابيل الربانية التي ستحيل الصهاينة ومن والاهم من عبيد التنسيق الأمنيّ المقدّس إلى عصفٍ مأكولٍ بإذن الله عزّ وجلّ.

وعودًا على بدء، فكما أنّه لا انفصال بين الدين والدنيا، ولا انفصال بين الدين والسياسة في الإسلام، فلا انفصال بين عبيد التنسيق الأمنيّ المقدّس والعدوّ الصهيوني، لذلك وجب عليك الضرب بيد من نار على كلّ من بِدينِ العدوّ قد دان، وعلى كل من خان، وللعدوّ هادن.

وفي الختام، أسأل الله أن يلهمني الصواب، ويغفر لي زلّة اللسان والقلم، وأن ينفعنا وينفع بنا، إنّه سميع مجيب.

العقيدة القسامية

القرآن والبندقية والسنة النبوية

لقد وجدت أنه أصبح من الملزم عليّ بعد أن انتهيت من الحمساويّ والقسّامي، أن أطرق باب العقيدة، وتحديدًا تلك العقيدة التي يؤمن بها ابن القسّام ويعمل بمقتضاها.

ولد كتاب (العقيدة القسامية.. القرآن والبندقية والسنة النبوية) فكان الجزء الثالث لـ مجموعة «أقلام البندقيّة»، وُلد وأنا لا أعلم: هل يولد ميتًا؟! أي هل سيتمكّن الصهاينة من الوصول إليه قبل أن أقوم بتهريبه خارج أسوار هذا القبر والمعزل.

فما زال بحوزتي كتاب «العقيدة القسامية» وكتاب «عقيدة الغراقدة»، وهذا الكتاب كتاب «الشهيد الحيّ»، فأنا ومنذ عدّة أشهر أعجز عن تهريب ما أكتب، فالحصار شديد والأسوار عالية والقضبان كثيفة، وما باليد حيلة، فأعين الصهاينة وسجّانيهم تتربّص بي.

رغم علمي بإمكانيّة فقداني لهذه الأوراق، التي تجاوز عددها الألف، إلّا أنّني أجزم وأقسم أنّها سترى النور رغم أنف المحتلّ الصهيونيّ. فهذه الأوراق كتبت لله عزّ وجلّ، لذلك فالله راعيها وحاميها ومنجيها، والله هو من يرشدني في عتمة هذا القبر إلى أفضل طريق لإيصال هذه الأوراق، أوراق العقيدة القسامية، وأوراق عقيدة الغراقدة، وأوراق الشهيد الحيّ.

وهنا اسمح لي عزيزي القارئ، أن أقدّم لك تمهيد كتاب «العقيدة القسّاميّة»، وأنا مطمئنّ القلب من وصوله إلى يديك لتقرأه عيناك:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله القائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) وأشهد أن لا إله إلّا الله القائل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٢٨)

وأشهد أنّ محمدًا رسول الله، الذي أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم يبعثون، أمّا بعد:

إنّ العقيدة القسّامية (مادة (عقد) في اللغة تدور حول معنى التأكد واللزوم والاستيثاق، قال تعالى في (سورة المائدة الآية ٨٩) : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ فاليمين المعقّدة هي الموثّقة بالقصد والعزم والنيّة) هي العقيدة الإسلاميّة القائمة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، وتوابعها الاعتقادية.

والسبيل إلى العقيدة الإسلامية التي سار عليها ابن العقيدة القسّامية هو: الأسس الفكريّة السليمة، والبحوث العلميّة القويمة، والإحساسات الفطريّة الصادقة، والأخبار اليقينيّة الثابتة.

اللهم إنّا نسألك عقيدة خالصة مطابقة للحقّ الذي أنزلته، وسلوكًا صالحًا مطابقًا للدين الذي ارتضيته لنا، اللهم منك التوفيق والفضل، ولك النيّة والعمل، وعليك الثواب والأجر، ولا حول ولا قوّة إلّا بك.

أرسل الله سبحانه وتعالى المرسلين مبشرين ومنذرين، وأوحى إليهم الدين الحقّ والعقيدة الصحيحة، فأوحى إليهم بالأصول الأولى التي لا تتبدّل ولا تتغيّر باختلاف، بل تتفق فيها جميع الرسالات السماويّة.

وقد بيّن الله تعالى طريقة الأنبياء التي كانوا يدعون بها أممهم، كما قصّ عنهم في القرآن الكريم، فقد اتّفقت طريقتهم في الدعوة على توحيد الله، وعبادته وحده، وخاتمهم نبينا محمّد ﷺ جاء مقتفيًا أثرهم في ذلك، قد دعا إلى ما دعت إليه الرسل قبله من توحيد الله ومعرفته، فجاء داعيًا إلى الإيمان راسمًا طريق الهدى، ومحذّرًا من طريق الزيغ والضلال، ورافعًا للواء الجهاد، ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلّا بعد أن أظهره الله على من عاداه، وأكمل له الدين.

يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (سورة المائدة:٣).

ومن المعلوم أنّ الرسول ﷺ بيّن هذا الدين بيانًا شافيًا لا لبس فيه حتى استقام الحقّ من الباطل. ولاستدامة دوام الحقّ، توجب العقيدة الإسلامية الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الحقّ، فإذا كان الإسلام رأس الأمر، فالجهاد ذروة سنامه، ووقوف الرجل في صفّ الجهاد يعدل قيامه سبعين سنة، والاستشهاد في سبيل الله يغفر الذنوب جميعًا إلّا الدَّين. وقد حذّر الله من ترك الجهاد، واعتبر من تخلّف عن الجهاد، حال دعوة الإمام لذلك وهو قادرٌ عليه منافقاً، قال المصطفى ﷺ: «من مات ولم يَغزُ، ولم تُحدّثه نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق».

وقد كتبت في تقديم الباب الأول في الفصل الأول، والذي كان تحت عنوان: (القرآن الكريم والعقيدة القسامية)، ما يأتي:

«لقد رسم القرآن الكريم العقيدة القسامية الجلية الواضحة، للتعامل مع أعداء الإسلام والمعتدين عليه وعلى أهله، والمحتلين لأرضه، والمدنّسين لقدسه وأقصاه.

لذلك أصبح من المسلّم به لدى ابن العقيدة القسامية، أنّ الجهاد في سبيل الله عن طريق استخدام القوّة القسامية المسلحة، ليس مبدأ من المبادئ التي أُسّس عليها الإسلام، وليس أصلاً من الأصول التي لا بدّ منها للعقيدة أو العبادة أو المعاملة، إنّما هو مبدأ الضرورة من أجل حماية الدعوة الإسلاميّة، والكلمة الإسلامية، والأرض الطيبة والجماعة الإسلامية، مثله مثل القصاص والحدود والتعازير. إن وُجدت أسبابها وجبت، وإلّا فلا.

فابن العقيدة القسامية يعلم علم اليقين أنّ جهاده واجب لغيره لا لذاته، ويعلم أيضًا أنّ الدعوة للإسلام بدأت هادئة ليّنة مسالمة مهادنة إلى أبعد حدّ، ولم يكن في جوهرها أو أهدافها ما يخيف أو يزعج أو يتنافى مع العقل، بل كانت دعوة للتسامي بالإنسان فكريًا وروحيًا ووجدانيًا، على أساس من عبادة الله وحده دون شريك أو وسيط،

كما كانت دعوة إلى الحرية والعزة والإخاء، وقد هزّت المشاعر الحيّة السليمة بما أعلنته من مبادئ الرحمة والإحسان والتطهر من كلّ ما يدنّس حياة الإنسان أو يُشقيها أو يستعبدها لغير خالقها أو بارئها.

بدأت الدعوة، وسارت على هذا النهج ثلاثة عشر عامًا، كانت كافية لإحياء ميّتي الضمائر، وإنعاش روح النصفة، وإظهار نوع من الشعور الإنساني النبيل نحو الذين عُذّبوا وشُرّدوا، وفارقوا الأهل والوطن بسبب عَنَت المتزعّمين والمتسلّطين والجبابرة وذوي القلوب الصخرية، ولكن الذي حدث في النهاية كان شيئًا تشيب له الرؤوس وتقشعرّ منه الأبدان والجلود، ويتقزّز منه كلّ ذي فطرة إنسانيّة سليمة، حيث قرّر مؤتمر الكافرين قتل (محمّد) ﷺ، وتشريد أصحابه، والقضاء على دعوته، كما جاء في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠). وحين هاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة، بعد أن فقدوا الأمل في حياة بلا عذاب في وطنهم وبين أهلهم وذويهم، لم يرحم كفار مكة غربتهم، ولم يواسهم أحد في محنتهم، ولم يحاول أحد إرضاء خاطرهم، بل وقفوا منهم موقفًا أشدّ عداءً من ذي قبل، وحاولوا حصرهم بمكّة وسجنهم فيها، حتى يظلّوا تحت سياط عذابهم، وفي قيود ظلمهم وجبروتهم، وفعلًا استطاعوا منع المستضعفين، ومن لا قوّة لهم ولا حيلة، ونجا منهم من استطاع من المجاهدين، وظلّ الآخرون سجناء حى فتح مكّة.

أصبح راسخًا في عقل ابن العقيدة القسّاميّة، أنّ المؤمنين حين يطالَبون بالجهاد واستخدام القوة المسلّحة ضدّ عدوّهم[1]، إنّما يراد لهم أصلًا أمران:

الأول هو: الدفاع عن أنفسهم ضدّ المعتدين والمحتلّين الجبابرة، ووحوش البشر من الصهاينة المجرمين، وغراقدة وعبيد التنسيق الأمني الأوسلوي المقدّس.

والثاني هو: إيجاد الجوّ الآمن، والبيئة المسالمة الصالحة لغرس روح الإخاء والعدل والقيم الإسلامية القرآنية السامية.

وهذا الجهاد هو الجهاد في سبيل الله تعالى، وسمّي بذلك لأصول أربعة، أصول أصبحت واضحة في العقيدة القسامية، وهي على النحو الآتي:

الأول: أنّ هذا الجهاد إنّما اضطر إليه المؤمنون بسبب إيمانهم بالله تعالى، واعتصامهم به، واستسلامهم له وحده دون غيره، فهو جهاد سببه انصهار البشرية في بوتقة الألوهية.

الثاني: أنّهم ملتزمون عند قيامهم بواجبهم الجهادي بدين الله، وواقفون عند حدوده في كلّ صغيرة وكبيرة، فالمقاتلون المجاهدون يجاهدون وهم سائرون في طريق الله وسبيله، لا ينحرفون عنه ولا يزيغون.

الثالث: أنّ المؤمن حين يجاهد في هذا العالم المليء بالكفر والفسق والفجور، فإنه ليس له أمل إلا في الله وحده، ولا نصر ولا جزاء إلا منه.

الرابع: أنّ المؤمن الصادق حريص على أن تكون كلمة الله في الأرض هي العليا، وأن يظهر دينه على الدين كلّه، وأن تسير الأمور في الحياة كوحدة واحدة متّسقة مع النظام الكوني الذي أبدعه الله وأحكمه، وما يحدّد هذا الاتّساق والإحكام هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأيّ انحراف عنها يعتبر في نظر المؤمن خروجًا عن النظام الربّاني، واعتداءً على الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى، وهذا الاتّساق والانسجام هو سبيل الله سبحانه.

وعلى هذا فإن العقيدة القسامية الجهادية تقوم على أنّ القسامي إذا جاهد فإنه يجاهد حاملًا البندقية مضطرًا؛ ليدافع عن نفسه وماله وعرضه وأرضه وقدسه وأقصاه، وليوجد البيئة الصالحة لاستقراء المبادئ التي يؤمن بها ويدعو إليها، ولاستمرارها من أجل صالح البشريّة.

فابن العقيدة القسّامية الجهاديّة لا يخطر بباله إلّا أنه عبد خاضع لله، متشوق لرضاه، مستسلم في ذلّه وخضوعه لأمره سبحانه وتعالى ونهيه، فالقسامي يجاهد في سبيل الله ولله، وليس لهوى نفسٍ أو بلوغ منصب ومأرب من مآرب الدنيا.

فابن العقيدة القسامية الجهادية الذي يجاهد ملقيًا الحجر، أو متمنطقًا حزامًا ناسفًا، أو مطلقًا الرصاص من رشّاشه، أو حافرًا لتراب أنفاقه، أو مطلقًا لصواريخ قسّامه التي تعدّدت أسماؤها، وقويت شدّتها، واتّسع مداها. فما بين المقادمة M٧٥ و الرنتيسي R١٦٠ هناك الجعبري J٨٠، وهناك ما خفي، وما خفي أقوى وأعظم بحول الله وقوّته وتوفيقه؛ فابن العقيدة القسامية ما هو إلا قسامي مجاهد يقاتل أعداء الله على كثرة عددهم وشدّة أسلحتهم -في الغالب- إنّما يندفع إلى ذلك وله هدف واحد هو: نيل رضا الله، سواء استشهد أم أُسر أم انتصر.

العقيدة القسامية... القرآن والبندقية والسنة النبوية

عقيدة الغراقدة

أذناب التنسيق الأمني المقدّس..

لن أتحدّث عن الجزء الرابع من مجموعة «أقلام البندقية»، وهو كتاب «عقيدة الغراقدة»؛ والسبب في ذلك أنّ التمهيد الذي كتبته في مقدّمة هذا الكتاب هو الأطول والأكثر شرحًا وتفسيرًا وبيانًا لهذا الكتاب الذي طرقت من خلاله بابًا جديدًا جدًا، وهو باب شجرة الغرقد، وبشر الغرقد، فالغرقد عندي شجرٌ وبشرٌ.

تمهيد كتاب «عقيدة الغراقدة»:

بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له من دون الله وليًا مرشدًا.

أحمد الله بما حمد به نفسه، وحمده به عباده المخلصون وملائكته المقربون، وأنبياؤه المرسلون وعباده الدعاة المجاهدون الصالحون الخيّرون، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيّدنا وسيّد الدعاة المجاهدين المؤمنين، سيدنا محمد المصطفى المختار، الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين، وختم به النبيين، وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّه، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

لقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام، أنّ اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوّة والسيطرة، وأنّهم سيجتمعون في مكان واحد، ثمّ يتسلّط عليهم المسلمون، ويضعون على رقابهم السيف، وينادي كلّ شيء حتى الشجر والحجر:

«يا مسلم يا عبدالله هذا يهوديّ خلفي تعال فاقتله، إلّا الغرقد فإنّه من شجر اليهود ..إلّا الغرقد فإنّه من شجر اليهود!

هاهم الآن يجتمعون في فلسطين، بعد أن قتلوا أهلها وشرّدوهم، بعد أن طغوا وتجبّروا، وبعد أن دنّسوا المسجد الأقصى المبارك، وقطعوا الشجر وهدموا الحجر، وهذه المعجزة الربانيّة كما تحقّق أوائلها في سبيل التجمّع الذي تدفع به الصهيونية العالمية والماسونيّة نحو فلسطين المحتلّة، لتملأها باليهود من مختلف أصقاع الأرض، سيتحقّق أواخرها بإذن الله عزّ وجلّ في حرب قادمة لا محالة مع الصهاينة المحتلّين لأرض فلسطين، وستقود هذه الحرب بعون الله وقدره الجحافل القسّامية التي آمن أبناؤها بربّهم، وتوّجوا رؤوسهم بعصبة «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»، فهم رجال العقيدة القسّاميّة الجهاديّة الذين استقاموا على شريعة الله.

«وسيعلم العالم نبأ هذا الأمر، وسيرى بعينه تلك الحرب المقدّسة ولو بعد حين»

فبعد حرب العصف المأكول، لم يعد هناك والله أعلى وأعلم إلّا حرب الحرية والتحرّر من دنس بني صهيون، ومن الحقد الصليبيّ الأعمى، ومن الغراقدة، نعم، التحرّر من الغراقدة ومن إلحادهم وعمالتهم وإجرامهم وظلمهم.

(فالغراقدة) هم شجر اليهود، نعم، وربّ الكعبة، هم شجر اليهود، فهم الغرقد الذي يسهر ليلًا نهارًا على حماية الصهاينة المحتلّين لأرض فلسطين، وهم الغرقد الذي يحمي أمن الصليبيين، ويرعى مصالحهم القائمة على استعباد الشعوب العربية والإسلامية، ونهب خيرات عالمنا العربيّ والإسلامّي، والغراقدة هم من مكّن اليهود والنصارى من سرقة أرواحنا وأعمارنا وأرضنا، ومن محاربة قرآن ربّنا وسنّة رسولنا.

إنّ الغراقدة بشر مثلنا بالشكل والمظهر، فلهم أيدٍ وأرجلٌ وألسنة، وليسوا كالشجر الذي له أوراق وأغصان، أمّا الجذور فلغراقدة البشر جذور كجذور غراقدة الشجر، وكلا الجذرين واحد؛ نبت وشرّش في مستنقع النفاق والشقاق، مستنقع الخيانة والغدر والإلحاد والإباحيّة والتعب الأسود والحقد الأسود والكره الأسود.

كلمة الغراقدة كلمة جديدة يجب أن نستعملها في توصيف أذناب أوسلو والأعراب، ذلك لأنهم عبيدٌ للصهاينة والماسونية، وفوق ذلك هم أصحاب نهج فكري ماكر خبيث مبطّن، يقوم على تشويه الدين الإسلاميّ وتراثه، وفي نفس الوقت تحسين وتقوية الأفكار والسلوكيّات والأفعال التي تنال من الإسلام والمسلمين، وتشويه كلّ ما يمتّ للمقاومة والمقاومين بصلة، بل كل ما يمتّ بصلة لجماعة الإخوان المسلمين، وحماس، والقسّام.

إنّ الغراقدة الذين سأتطرّق إليهم في كتابي هذا هم الأوسلويون والأعراب، الذين سخّرهم الصهاينة والماسونيون والصليبيون ليكونوا (شجرة الغرقد) التي تحمي سيّدها، وتتستّر عليه، وتخدمه وتلبّي كلّ حاجاته ورغباته. إنّهم الغرقد المسموم الذي زُرع في بلادنا العربية والإسلامية، إنّهم أذناب التنسيق الأمنيّ المقدّس مع الصهاينة من أجل ضرب المقاومة، إنهم الأذناب الغراقدة الذين جهلوا حقيقة الحياة، وخانوا أنفسهم مع خيانتهم للحياة والإنسانية والدين الوطن؛ وذلك بانصياعهم للخوف من الانتقام الدنيويّ البشريّ الصهيونيّ، والصليبيّ، والماسونيّ المباشر، دون الخوف من الانتقام الربانيّ المستتر.

«مكروا على الله وجهلوا مكر الله، ولم يدركوا أو يعوا أنّه سبحانه وتعالى خير الماكرين»

اعلم أخي القارئ، أن «الغراقدة»، أذناب التنسيق الأمني المقدّس، هو كتاب انطلقت لكتابته وغيره من الكتب من مفهوم أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالإجماع، وأنّ التقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جريمة كبرى في حقّ الإسلام والمسلمين، وأنّه لا يُكفّر هذه الجريمة إلّا النهوض الفوري والقوي بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ألم يقل المصطفى ﷺ ما معناه: «من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

صحيح أنّ يداي مكبلتان بسلاسل السجّان الصهيوني، بعد أن كانتا مكبّلتين بسلاسل سجّاني غراقدة أوسلو، وأذناب التنسيق الأمني المقدّس مع العدوّ الصهيونيّ، إلّا أنّ لساني ما زال طليقًا، وقلبي ينبض بالحياة بفضل الله، لذلك أوجد الله عزّ وجلّ للساني قلمًا يكتب وينطق من خلال هذه الأوراق التي بين يديك، فاقرأها عزيزي القارئ بتمعّن وتدبّر، واعلم علم اليقين، أنّ الغراقدة المجرمين يعلمون يقينًا أنّ العقيدة الإسلاميّة الراسخة في عقول وقلوب وأرواح وأجساد أبناء جماعة الإخوان المسلمين، وأبنائهم الحمساويّين والقسّاميّين هي العدوّ الأول والأوحد لأسيادهم الصهاينة والصليبيين والماسونيين، بل وحتّى للغراقدة أنفسهم، أليسوا هم الأعراب المنافقين، والأوسلويين الفاجرين؟!

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم: ٢٥-٢٧).

إنّ الدعوة الإسلاميّة جذورها عميقة ضاربة في الأرض وفي الفطرة الإسلاميّة الصحيحة، أمّا الدعوات السوداء الظالمة التي تقودها الصهيونية والصليبية وهي جالسة خلف الغراقدة، مُحتَمِيَة بهم، فهي دعوات إلى الزوال والدمار بإذن المولى عزّ وجلّ. فشتان ما بين الكلمة الطيبة التي تدعو إليها جماعة الإخوان المسلمين، وحركة المقاومة الإسلامية حماس، وكتائب الشهيد عزالدين القسام، وبين الكلمة الخبيثة التي تدعو إليها الصهيونية والصليبية والماسونية، وتحميها قوات أذناب التنسيق الأمني، وقوات الغراقدة أينما وُجدت.

فالدعوة الإسلامية صاحبة حقّ، وتدعو إلى الحقّ، وتستمدّ قوّتها من الله الحقّ، قال المولى عزّ وجلّ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (الحجّ: ٦٢).

وقد بشّرنا الرسول ﷺ أنّ قوى الشّرّ لن تستطيع أن تهزم الإسلام، مهما بغت وتجبّرت واستطالت، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ ظاهرين لعدوّهم قاهرين، لايضرّهم من جابههم ولا من أصابهم من الأعداء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».

لذلك فالحقّ سينتصر بإذن الله مهما طال الزمن، وَبَعُدَ الطريق، ومهما امتلأت بأشواك الغراقدة الذين يحاربون أولياء الله، خدمةً لأسيادهم الصهاينة، والصليبيين، والماسونيين.

عذرًا كلّ العذر على إطالتي في هذا التمهيد، ولكن ذلك يعود لكون الموضوع جدّ خطير، وجديد ومهمّ وملهم، فهو عن الغراقدة، نعم، عن الغراقدة الذين طغوا وتجبّروا خدمة لأسيادهم فكانوا أذناب التنسيق الأمني المقدّس، وعبيد الصهاينة والصليبيين والماسونيين.

أمّا نحن أبناء الجماعة والحركة والكتائب، فما زلنا بفضل الله تعالى وتبارك على ما نحن عليه، وما زلنا نردّد بصوت عالٍ:

الله أكبر.. الله أكبر.. ولله الحمد

الله غايتنا.. والقرآن دستورنا.. والرسول قائدنا.. والجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

عبدالله غالب البرغوثي، عبدٌ باحثٌ عن الحقيقة متطلّعٌ إلى الشهادة، وتوّاقٌ إلى الفردوس بإذن الله تعالى في علاه.

أكتب كتاب «عقيدة الغراقدة»، إلى الذين أجمعوا على خلع عبودية البشر والشجر، وخلع عبودية الصهاينة والأذناب والغراقدة من أعناقهم، وصمّموا على السير إلى الله على طريق الجماعة والحركة والكتائب، علّهم يكونون في دار السلام والإسلام، وفي مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر

إلى هؤلاء أكتب رغم السجن والسجّان، ورغم الظلم والطغيان، ورغم القيد والمطرقة والسندان.»

ذلك كان التمهيد الذي كتبته لكتاب «عقيدة القراقدة» وهو التمهيد والتقديم الأطول، الذي سبق لي وأن كتبته لكتابٍ لي، فعذرًا منك أخي القارئ على هذه الإطالة كلّ العذر.

أدعو الله أن يوفّقني لكتابة الجزء الخَامِس والسادس من كتب مجموعة «أقلام البندقية».

أخوك أمير الظلّ.. الشهيد الحيّ
عبدالله البرغوثي (أبو أسامة)

تساقط الحجب

تبدأ الحجب بالتساقط لحظة احتضار الشهيد، فالشهيد يُبشّر بالجنة عند اقتراب أجله واحتضار نفسه، فتجده رغم شدّة ألمه مطمئنّ البال والقلب، وقرير العين مبتسمًا، بشوش الوجه، وسبب ذلك أنّ الحجب بدأت بالتساقط الواحدة تلو الأخرى! فها هم ملائكة الرحمة أصبحوا حقيقة تُرى بالعين لحظة الاحتضار، وها هم أصحاب اليُمن والشهداء والملائكة يحيطون بالشهيد ليصطحبوه معهم، بعد أن بشّروه بحسن الخاتمة، وبحياة فضلى خالدة.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد: ٤-٦).

أحبّوا الجهاد.. أحبّوا الشهادة

في جوف قبري ومعزلي تتساقط الحجب الواحدة تلو الأخرى، فادعوا لي بأن أسقط شهيدًا، حتى يسقط آخر تلك الحجب بإذن المولى تعالى وتبارك.

وفاء الأحرار

(وفاء الأحرار) هو الاسم الذي أطلقته حركة المقاومة الإسلامية حماس، على الصفقة التي نُفّذت بين كتائب الشهيد عزالدين القسام من جانب، والعدوّ الصهيونيّ المحتلّ من جانب آخر، حيث أطلقت كتائب القسّام بموجب هذه الصفقة سراح الجنديّ الصهيونيّ (جلعاد شاليط) الذي أسرته الكتائب عام ٢٠٠٦، مقابل إطلاق سراح أكثر من ألف أسيرة وأسير فلسطينيّ من سجون العدوّ الصهيوني المحتلّ.

حدثت تلك الصفقة عام ٢٠١١، أي بعد أكثر من خمسة أعوام على تمكّن كتائب القسام من أسر ذلك الجنديّ الصهيونيّ، الذي كان متمركزًا داخل دبابته المحصّنة الجاثمة على تخوم قطاع غزّة المحاصر، وقد أطلقت كتائب القسّام على تلك العملية اسم عمليّة «الوهم المتبدّد»، وهمي أنا عبدالله البرغوثي هو الذي تبدّد، نعم، أخي القارئ العزيز، وهمي أنا هو الذي تبدّد، بعد أن نُفّذت صفقة (وفاء الأحرار)، وبقيت مقيّدًا بالسلاسل والقيود في جوف قبري ومعزلي الذي دفنني الصهاينة داخله منذ عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا. يومنا الذي أكتب لكم فيه هذه السطور والكلمات من جوف قبري ومعزلي.

أكتب وكلّي ألم، بعد أن تبدّد حلم الحريّة والانعتاق الذي كنت أحلم به، وكنت أظنّه حقيقة فإذا هو سراب.. سرابٌ زادني عطشًا على عطش، وألمًا على ألم.

لم أرتوِ من ماء زمزم الحرّية، ولم ترتوِ عينا أمّي ووالِدي، ولا عينا زوجتي الحبيبة وأبنائي من رؤيتهم لي حرًا محرّرًا.

واقعي اليوم أصبح أشدّ مرارة من العلقم، فبعد أن تبدّد وهم حريّتي مع «الوهم المتبدّد»، أدركت أنّني قد قُتلت مرّتين، وكلتا المرّتين كانتا على يد المحتلّ الصّهيونيّ، الذي قتلني أوّل مرّة عندما زجّ بي في جوف هذا القبر والمعزل، والمرّة الثانية عندما أبقاني دفينًا حيث أنا، بعد أن اشترط لتنفيذ صفقة «وفاء الأحرار» أن أبقى حبيس معزلي، رفضت المقاومة ورفض رجال القسّام، وفاوضوا لأعوامٍ طويلة،

فما كان منّي إلّا أن أرسلتُ لأخي المجاهد أبوخالد/ محمد الضيف بألّا يربط تنفيذ الصفقة بي، وألّا يربط مصير أكثر من ألف أسيرة وأسير فلسطينيّ بمصير أسير واحد، فكما لي أمّ، لهم هم أمّهات وآباء وأبناء وبنات وزوجات..

أقبل الموت صامتًا لتعلو زغاريد أمّهات الأسرى المحرّرين، نعم، أخي القارئ الكريم، يشهد المولى عزّ وجلّ أنّني أقبل الموت بصمت في جوف هذا القبر والمعزل، مقابل أن يرى أخوتي الأسرى نور شمس الحرّيّة، خارج أسوار سجون بني صهيون.

نعم أتألّم من سياط الجّلاد، نعم، فأنا مجرّد إنسان من لحم ودم، وأبتهج فرحًا لحرّيّة إخواني المحرّرين، فأنا ابن الجماعة والحركة والكتائب التي ربّتني على التّضحية والفداء والعطاء والوفاء.

«وفاء الأحرار» صفقة تمّت بحمد الله، وأنا راضٍ بأمر الله وقدره، راضٍ لأنّني أعلم علم اليقين أنّ الخيرة فيما اختاره الله، راضٍ لأنّني أعلم أنّ الله عزّ وجلّ لن يترك من حمل لواء الجهاد حبيسًا في جوف هذا القبر والمعزل. راضٍ لأنّي ابن الجماعة والحركة والكتائب التي لن تألو جهدًا في سبيل نيلي للحريّة، تلك كانت (وفاء الأحرار١) و(وفاء الأحرار٢) قادمة بإذن من رفع السماء بغير عمد، نعم قادمة، فقد أيقن رجال القسام وحماة الإسلام أنّ سبيلهم لتحرير المهندس القسّاميّ، هو الأسر لجنود وضبّاط العدوّ الصهيونيّ، وها هم يعدّون ويستعدّون، أراهم في منامي وهم يحفرون الأنفاق، ويصنعون الصاروخ والعبوة، ويعدّون البندقية، في البرّ أراهم، في جوف البحر أراهم، بين السحب أراهم، وربّ الكعبة أراهم.

أتألّم لألمهم وأفرح لفرحهم، أشعر بثقل التراب الذي ينقلونه من الأنفاق بعد حفرهم لها، وأشعر بثقل أنفاسهم في جوف البحر.

«قسّاميّ أنا وقسّاميون هم، الكلّ للواحد والواحد للكلّ، ما دام الواحد والكلّ لله تبارك وتعالى»

لا تحزني يا أمّي، يا زوجتي، يا ابنتي لا تحزني، لا تحزن يا والدي، يا ولدي، يا أخي، يا أختي، بالله عليكم لا تحزنوا، فما عدتُ حزينًا، وما عدتُ أتألّم، فكيف لي أن أحزن وأتألّم وأمّهات الأسرى المحرّرين سعيدات وباسمات ومزغردات.

أمّي، اعلمي أنّني ابن للجماعة والحركة والكتائب، وابن لك أنت أيضًا، فأنا ابنك وابن الدعوة، وابن الدعوة وابنك، لذلك لا تنسي يا أمّاه أنّ الأمّهات المسلمات الصّابرات حالهنّ كحال الدعوة، فكلاهما يمتاز دائمًا بالتضحية، وإنكران الذات والبذل المستمرّ، وعدم انتظار الجزاء إلّا من الله.

أمّاه لا تنسي أنّي ابن دعوة الجماعة والحركة والكتائب، ابن الدعوة التي عُرف عنها الصلابة بالحقّ، أمّاه إنّ قبري هذا ومعزلي قد علّمني كيف وقف إبراهيم عليه السّلام وحيدًا أمام طغيان قومه فحطّم الأوثان، وعلّمني كيف رفض المصطفى ﷺ عروض المُلك والمال والجاه والسيادة، وقال ما تحفظه جميعًا: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أهلك دونه.»

أمّاه إنّ قبري غدا مسجدي، ومسجدي غدا المنبر الذي أجاهد وأنا أقف على درجاته، فلا تحزني ولا تبتئسي واقرئي ما أكتب، فمداد قلمي دم شرايينّي، ومداد قلمي دمع عينيك.

أمّاه (البلاء وسيلة والنصر غاية)، أمّاه والله إنّني أحسست بعظمة جهادي، عندما دفعت وما زلت أدفع الثمن الغالي الذي تطلبه الدعوة الربّانية التّي حملتُ لواءها، دعوة الإخوان المسلمين وحماس والقسّام. أمّاه ألا تذكرين هتافنا:

الله غايتنا.. والرسول قدوتنا وزعيمنا.. والقرآن دستورنا.. والجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

لا بدّ من محن قاسية، وابتلاءات يمرّ بها المجاهد حتى تمحّص القلوب، وتنقّي الصفوف، ويتميّز الخبيث من الطيّب، ولا بدّ من ثمن غالٍ يُدفع في سبيل الوصول إلى الحريّة، والانعتاق من قيد المحتلّ الصهيونيّ اللّعين، لذلك فلا حزن ولا ألم، وإنّما الصبر والاحتساب عند الله، فالمحن نتيجة مباشرة للسير على طريق المقاومة والجهاد في سبيل الله.

«وفاء الأحرار» صفقة تمّت بحمد الله، ووفاء الأحرار قادمة بإذن الله.

«الوهم المتبدّد» عمليّة جهاديّة أُسر بها جنديّ صهيونيّ بحمد الله وتوفيقه، والوهم المتبدّد قادمة من جديد بإذن الله.

ما النصر إلّا صبر ساعة

أمير الظلّ.. سؤال وجواب.. وفكرة

تختلف أوراق أمير الظلّ هذه المرّة عن تلك الأوراق التي كتبتها في كتاب «أمير الظلّ»، والسبب هنا يعود إلى أنّني لا أجيب في هذه الأوراق عن سؤال ابنتي وملاكي الحارس تالا، ذلك السؤال الذي قالت فيه تالا متسائلة: «من أنت يا أبي؟! ولماذا أنت يا أبي؟!» ، وفي هذه الأوراق التي بوّبتها تحت عنوان: أمير الظلّ سؤال وجواب وفكرة، أجيب عن الأسئلة ذات الطابع العام المنشغل بالهمّ العام وقضاياه.

فلقد وردتني تلك الأسئلة والتساؤلات (بطريقة ما) من قبل عدد من أصحاب العقول الباحثة عن العلم والمعرفة، وعن الفهم والاستزادة. وهم يسعون من وراء ذلك إلى فهم حقيقة ما يدور من حولهم من أحداث وتطوّرات، ارتبطت وأثّرت على مجريات حياتهم الدعوية، والسياسية، والاجتماعية، والإنسانية.. بل وحتى التنظيمية والحركية الإخوانية، والحمساوية، والقسامية.

السؤال والجواب.. والفكرة، وتبيان الجواب هو حال هذه الأوراق، أوراق أمير الظلّ، فبعد التحليل والتحديد الدقيق لعِلَلِنا وأمراضنا، ولجوهر السؤال ومقصد السائل، يكون الجواب الشافي بإذن الله وتوفيقه. إلّا أنّه يجب عدم نسيان أو تناسي تلك الفجوة الواسعة بين نظريات المقاومة التي نقرأ ونسمع عنها، أو حتى تلك التي نؤمن بها وندعو إليها، وبين ما آل إليه واقعنا الحاليّ.

وهنا نذكر أخي القارئ الكريم، أنّ هناك من الناس من أسلم زمام عقله وقلبه (لنفسه) وأصبح عبدًا تابعًا لها تسيّره كيفما شاءت، ومنهم من أسلم زمام عقله وقلبه (لكتاب الله وسنة رسوله) وصار تابعًا للقرآن والسنة، وغدا حاملًا للبندقية وراية المقاومة والجهاد. حتى تمكّن من أسر «نفسه» فصارت تابعة له، وعندها فقط أصبح حرًا، أبيًا، عزيزًا وربّانيًا.

لعلّ تبيان الجواب على السؤال، يمكّنك أخي القارئ الكريم، من أن تسلّم عقلك وقلبك لله، وتكون من عباده الصالحين المخلصين، فالله عزّ وجلّ يُطالبنا بأن ننصره على نفوسنا، لنكون أهلًا لكي ينصرنا على أعدائنا، ويمكّن لنا في الأرض.

وهنا أقول لمن لا يملك الوقت أو الصبر أو المثابرة أو القدرة على قراءة هذه الأوراق، أنّ عليه التفكير جيّدا بما قاله الإمام حسن البنّا رحمه الله: «إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقطف زهرة قبل أوانها، فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين، وإما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.»

أمّا من يملك الوقت والصبر والمثابرة، فأقول له: «إنّك بإذن الله عزّ وجلّ سوف تجد جوابًا عن سؤال، وتعبيرًا عن همّ راهن، ودواء لداء، في هذه الأوراق، أوراق أمير الظلّ.. سؤال وجواب.. وفكرة، ستجد الفكرة، ستجد الفكرة.

السؤال الأول: هل صحيح أنّك تنادي إلى استخدام الرصاص في الحوار السياسي مع القوى السياسية الفلسطينية؟

الجواب: إذا كنت تقصد بسؤالك هذا أنّ القوى السياسية الفلسطينية، هي (قوى سلطة أوسلو)، التي تشكّل حركة فتح عمودها الفقريّ؛ فإجابتي هي نعم وألف ألف نعم، وذلك يعود إلى أنّني أرى أنّ أجهزة أمن سلطة أوسلو، قد سطت على حركة فتح، تلك الحركة التي كانت قد سطت على منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى مقدّرات الشعب الفلسطيني في المهجر وداخل فلسطين المحتلة.

وأرى أنّ أجهزة أنّ أمن سلطة أوسلو التي اتّخذت، من (عقيدة التنسيق الأمني المقدّس) مع المحتلّ الصهيونيّ (عقيدة ولاء وبراء)، ولاء للمحتلّ، وبراء من كلّ من يعادي المحتلّ، وقد أصبحت بذلك أجهزة أمنية عسكرية استخباراتية قمعية، عميلة للمحتلّ الصهيونيّ، لا علاقة لها من قريب أو من بعيد، بمسمّى (القوى السياسية الفلسطينية) والواجب هنا على كلّ فلسطيني وطني شريف أن يتصدّى لقوات أجهزة أمن سلطة أوسلو، تمامًا كما يتصدّى للمحتلّ الصهيوني، فكلاهما وجهان لعملة واحدة، عملة الاحتلال والانحلال، عملة الفساد والإفساد، عملة القتل والإجرام.

أمّا إن كنت تقصد بسؤالك القوى السياسية الفلسطينية، تلك القوى الوطنيّة الشريفة، فجوابي هنا أنّ الحوار مع تلك القوى لا يكون إلّا من خلال الجلوس على طاولة حوار الأخوّة المبني على الاحترام المتبادل الموصل إلى ما يوحّد الجهد الفلسطينيّ، نحو هدف التحرّر والانعتاق من قيد الاحتلال الصهيونيّ الجاثم على صدر كلّ فلسطيني حرّ شريف.

وهنا فأنا أنادي وأدعو بشكل جليّ وواضح وصريح إلى تطهير فلسطين، من عملاء الاحتلال وجواسيسه، لأنّ ذلك هو المقدّمة الأولى للانتصار على المحتلّ الصهيونيّ، ولتحرير فلسطين بقدسها وأقصاها من دنس اليهود، وعبيد اليهود، وما تحرير قطاع غزّة من دنس اليهود ومن رجس أجهزة أمن سلطة أوسلو، إلّا اللبنة الأولى نحو بناء البيت الفلسطينيّ العربيّ الإسلاميّ الحرّ، الطاهر، المقاوم المجاهد.

السؤال الثاني: «أمير الظلّ أنت متكبّر ومغرور و...؟!

الجواب: وأنت أخي السائل مسكين ساذج، أو مسكين مضلَّل؛ لأنّك لم تدرك أنّني ابن الإخوان وحماس والقسّام، ابن الحركة التي تؤمن أنّ الإسلام دين عقيدة استعلائية، وأنّ من أخصّ خصائص تلك العقيدة الاستعلائيّة أنّها تبعث في روح المؤمن المجاهد إحساسًا بالعزّة في غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور بالاطمئنان في غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشريّة في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة للقطعان الضالّة وهدايتها، إلى القيم والطريق السويّ، وإخراجها من الظلمات إلى النور، فأنا لست متكبّرًا أو مغرورًا بل عزيزًا على الكافر المجرم المحتلّ، وذليلًا للمؤمن وعليه. وأنا بفضل الله ابن العقيدة القسامية الاستعلائية لأنها عقيدة المسلم الحقّ.

السؤال الثالث: علّمني كيف أحمل الرشاش، وكيف أطلق الرصاص منه؟

الجواب: لا أعرف.. بل وكيف لي أن أعرف وأنت أخي السائل لم تحدّد لي نوع الرشاش الذي تريد حمله والتعلم عليه، ولا نوع الرصاص الذي تريد إطلاقه منه!

أمّا إن كنت تسأل عن الرشاش الذي كنت أحمله في ساحات المعركة؛ فهو رشّاش قسّاميّ الصنع، حمساويّ المواصفات، أخوانيّ الانضباط، رصاصه كلّه في سبيل الله، ولله، وليس لأحدٍ سواه.

لذلك إذا ما أردت تعلّم حمل رشّاش أمير الظلّ، وإطلاق الرصاص منه، فعليك أن تكون إخوانيّا حمساويّا حتّى تكون قسّاميّا مجاهدًا، قسّاميّا يستحقّ حمل رشاش كتائب القسّام، ومطلقًا للرصاص منه نحو العدوّ الصهيونيّ، الذي احتلّ أرضنا، ودنّس قدسنا وأقصانا، حتى ندحره بإذن الله عزّ وجلّ وتقيم حكم الله في أرض الله، من أجل توحيد أمّته بعد تحكيم شريعته.

السؤال الرابع: «من الذي حرّضك على الكتابة والتأليف، وكيف؟!»

الجواب: البنّا.. وقطب.. والقرضاوي.. والراشد.. وهمّام سعيد، هؤلاء كلّهم كانوا المحرّضين والدافعين، والموجهين لفكري. فأنا أؤمن أنّ المجاهد إذا ما اعتقل، وغدا أسيرًا، فإنّ عليه مواصلة عمله الجهاديّ من خلال القلم والخطبة والقصيدة «بندقيتي قلمي، ورصاصاتي كلماتي»

لقد كتب الراشد في الحضّ على الكتابة والتأليف: «إن تأليف رسائل قيادية بأقلام دعاة محليين لمعالجة المشاكل التي يعيشها كل مجتمع على ضوء الإسلام تعتبر عوامل مبادأة جيدة، وكذا المنشورات السياسية السريعة القصيرة، فإنها تراد كعوامل مبادأة أكثر مما تراد لشيء آخر، إذ إنّ أذهان الدعاة تتقارب في الغالب عند تحليل المواقف، ولكن وجود المنشور في يد الداعية يجعل أهل مجلسه يتحدثون في معناه، ويجعل الداعية في غنى عن اللباقة المتكلفة المصطنعة لجلب الحاضرين إلى صميم الموضوع، وعلى ذلك فإنه لا يصح أن نعتمد على مجرد الكتابات الفكرية المطلقة لأعيان الكُتّاب المسلمين،

بل لا بدّ من كتابات بأسماء دعاة يعرفهم المجتمع من أهل البلد، مع معالجة المشاكل المحلية من خلال الفكر الإسلامي المطلق.»

وقد قال سيّد قطب رحمه الله عن قوة الكلمة وحياتها وحيويتها: «أنّه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها، وتجمعها، وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات على قلب إنسان حيّ».

أخي القارئ الكريم، وأخي السائل الحبيب، يجب أن تعلم أنّ أصحاب الأقلام يستطيعون أن يفعلوا شيئًا كثيرًا جدًا، ومتميّزًا ولكن بشرط واحد، وهو ألّا يخشوا الموت والشهادة لتعيش أفكارهم، أي أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، وأن يقولوا ما يعتقدون أنّه حقّ، ويقدّموا دماءهم فداءً لكلمة الحقّ!

أفكاري وكلماتي اقتاتت على دم قلبي، الذي كبّله العدوّ الصهيونيّ، عندما قيّدوه داخل جسدي، وألقوا به في قبر العزل الانفرادي، فمن هنا من داخل قبر العزل الانفرادي، أكتب لك أخي السائل، لعلّك توقن أنّ أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثثًا هامدة، حتى إذا استشهدنا في سبيلها وغذّيناها بدمائنا التي سالت في ميادين الجهاد والمقاومة وفي معتقلات العدوّ الصهيوني، انتفضت حيّة وعاشت بين الأحياء وللأحياء، فكن حيًا وكن وفيًا مخلصًا صادق النيّة حتى تواصل سيرك على درب الجهاد والمقاومة.

السؤال الخامس: هل أنت قطبي المدرسة؟!

الجواب: ابن لجماعة الإخوان المسلمين أنا، فعلى رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا نشأت وترعرعت، وسأبقى في صفوف حركة المقاومة الإسلاميّة حماس ما حييت، وفي كتائب الشهيد عزالدين القسام جاهدت وقاومت وكتبت، أمّا علاقتي بالشهيد سيّد قطب يرحمه الله، فهي علاقة الابن البارّ لجماعة الإخوان المسلمين بأحد رموزها وشهدائها الذين كانوا من حملة الدعوة إلى الله، ودعاة الإصلاح والتجديد في الإسلام. فقد وقف الشهيد سيّد قطب ضدّ دعاة الجاهليّة الماديّة الإلحاديّة، والجاهليّة الانحلالية، التي أنشأت فيهم مفاهيم غريبة عنهم،

دخيلة عليهم، فعاداهم بما آتاه الله من مواهب بالقلم واللسان، وبالدعوة والتربية بالتجنيد والتجميع، وعاش للإسلام، ومات على الإسلام، وقد دفع الشهيد سيّد قطب عنقه فداءً لدعوته، وثمنًا للإصرار على عقيدته، وصدقت مقولته: «ستظل كلماتنا عرائس من الشمع لا روح فيها ولا حياة، حتى إذا متنا في سبيلها دبّت فيها الروح وكتبت لها الحياة.»

فكيف لي ألّا أغترف من مدرسة سيّد قطب ابن مدرسة الإخوان؟! ألم يقف سيّد قطب ضدّ الجاهليّة بكلّ صورها وأشكالها؛ العقديّة والفكريّة والسلوكيّة؟! ووقف ضدّ العلمانية الغازية، ووقف ضدّ الصهيونيّة العنصريّة الغاصبة، والصليبية الحاقدة المعادية، والدكتاتوريّة المتسلّطة. ألم يكن قلمه البليغ هو سيفه المسلّط في هذه المعركة الحامية الوطيس، التي ارتقى فيها شهيدًا لدعوته التي آمن بها، وضحّى في سبيلها بأغلى ما يضحّي به الإنسان.

كان يمكن لقطب أن يهادن أو يلين ولكنّه ثبت ثبات الجبال الشامخة، وصبر صبر الموقن بصواب توجّهه، ولقي ربّه قرير العين بما قدّم.

فأنا وإن كنت معجبًا بسيّد قطب وحسن البنا وهمام سعيد وأحمد ياسين ومحمّد بديع، ومحبًا مخلصًا لهم ومقدّرًا لعبقريّتهم، وصدق توجّههم وأخلاقهم، إلّا أنّني لا أقدّس أحدًا منهم، فلا القرآن الكريم، ولا السنّة النبوية المطهّرة، ولا أحد من هؤلاء العلماء المجاهدين؛ الشهيد منهم مثل الأئمّة الشهداء: حسن البنّا وسيّد قطب وأحمد ياسين، أو الإمام المعتقل في سجون ظلم الانقلاب الأسود في مصر محمد بديع، أو العالم المجاهد القائم همام سعيد في الأردن، طلب تقديسًا أو تعظيمًا لأيّ منهم، فهم حملة اللواء إلى الله، دعاة النجاة في الدنيا والآخرة.

وجزى الله الخير كلّ الخير الدكتور همّام سعيد الذي قال: «إنّ الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال وأرفع العبادات، وهي أخصّ الخصائص للرسل الكرام، وأبرز مهام الأولياء الأصفياء من عباده الصالحين.»، وهو القائل: «لا يصبح المرء داعية إلى فكرة من الأفكار إلّا بعد تحقّق انتسابه إليها، وتفاعله مع القضايا، وصاحب الدعوة يعيش بها وتعيش به، وتحسب عليه كما يحسب عليها.»

السؤال السادس: من هو الحمساوي؟

الجواب: إنّه المجاهد القائم العامل الذي لا يستسلم إلى الواقع، بل إنّه يعمل على تغييره كما أمر الله، ولا يعتذر بالقضاء والقدر، بل يؤمن إيمانًا مطلقًا أنّه المجاهد الذي اختاره الله تبارك وتعالى ليكون هو قضاء الله الغالب، وقدره الذي لا يردّ، إنّه المجاهد الذي يعمل على إقامة حكم الله في أرض الله، بعد أن يدحر المحتلّ الصهيونيّ، حتّى يوحّد الأمّة ويحمي الحضارة الربّانية التي تجمع بين العلم والإيمان، والتي مزجت بين الروح والمادّة، ووازنت بين الدّنيا والآخرة، وحفظت للإنسان خصائص الإنسان، وكرامة الإنسان.

إنّه الحمساويّ صمّام الأمان، وحامي حمى فلسطين من المحتلّ ومن أذناب المحتلّ الأوسلويين، الحمساويّ هو ابن الجماعة وأبو الكتائب، هو ابن جماعة الإخوان المسلمين، وهو أبو كتائب الشهيد عزالدين القسّام، إنّه جسر العبور الآمن بين الجماعة والكتائب، إنّه حلقة الوصل والتلاقي بين الجماعة والكتائب.

السؤال السابع: ممّ تخشى وتخاف؟

الجواب: أخشى أن أكون أحد الذين ذكرهم سيدنا محمّد ﷺ في الحديث النبويّ الذي جاء فيه: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». (رواه مسلم).

إنّ ما جاء في هذا الحديث النبويّ الشريف هو أكثر شيء أخاف وأخشى منه على نفسي وعلى أخوتي وأحبّتي المجاهدين، لذلك فلتكن النية في كلّ ما نعمل خالصة لله عزّ وجلّ وحده بلا رياء.. بلا رياء.

السؤال الثامن: كيف هي سلطة أوسلو؟ وكيف هم رجالاتها؟

الجواب: لم يكن هدف إقامة سلطة أوسلو إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، فهي سلطة قامت على الكذب والطمع والنفاق، لذلك لا نرجو من سلطة أوسلو خيرًا أبدًا؛ فهي سلطة أقامتها عصابة من الساسة الدجّالين، الذين يسترون مخالبهم خلف قفّازات من حرير، ويضعون أيديهم قسرًا على حقوق الشعب الفلسطيني الرازح تحت نير الاحتلال، ثمّ ها هم وبكلّ وقاحة يعتلون المنابر، ليُروا وهم يزاودن عبر حديثهم عن المقاومة والعدل والحريّة والمساواة و.. إلخ

وكلّ ذلك زيف ونفاق وكذب وطمع وفساد يقوده المفسدون، لذلك وجب علينا أن نعلن على هؤلاء المفسدين حربًا لا هوادة فيها، فاجتثاث جذور الاستبداد الأوسلويّ وإراحة الدين والدنيا من ويلاته، يعني الحرية والتحرّر، ويعني النجاح في تنظيف فلسطين من النهب والسرقة، ومن سياط جلّادي أوسلو، خدّام المحتلّ الصهيونيّ اللعين.

السؤال التاسع: هل حماس حركة إرهابيّة؟

الجواب: لا، وربّ الكعبة، ليست إرهابيّة، ولسنا إرهابيّين، بل إنّ الإرهاب يكمن في إسرائيل، إنّها الإرهاب الأكبر الذي يسفك الدماء ويقتل الأبرياء ويغتصب الديار ويشرّد الأحرار ولا يبالي في سبيل تحقيق أهدافه بإيمان ولا قيم ولا أخلاق.

أمّا نحن في حماس.. فأصحاب أهداف ووسائل سامية أخلاقيّة ربّانيّة، ذات قيم وأسس مستمدّة من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة المطهّرة، فنحن المقاومون المجاهدون الساعون لتحرير فلسطين، وإقامة شرع الله في أرض الله.

السؤال العاشر: هل الاعتراف خيانة؟

الجواب: نعم، الاعتراف خيانة، والخيانة عار بهذه البساطة والمباشرة أقولها لك أخي المجاهد، فكما كنتُ اليد الضاربة والقوّة الرادعة والهامَةَ العالية في الميدان الدعويّ والحركيّ والعسكريّ، فإيّاك ثمّ إيّاك أن تحني هامتك، وأن تطأطئ رأسك، وأن تصبح مطيّة لعدوّ الله وعدوّك، فذلك القاتل الغادر المسمّى (محقّق) يسعى بكلّ ما أوتي من خبث ودهاء ومكر إلى كشف خفاياك، وخفايا الجماعة والحركة والكتائب، كتائب القسّام التي بايعت على السمع والطاعة على العهد والوفاء، القسّام الذي سيعمل بكلّ ما آتاه الله عزّ وجلّ من قوّة وعزم على تحريرك وفكّ أسرك (أنت)، وأسر إخوانك أبناء القسّام وحماس والإخوان، وأسر سائر أبناء فلسطين والقدس والأقصى.

السؤال الحادي عشر: هل يجوز الكذب والخداع في الحرب، أو عند الوقوع في الأسر؟

الجواب: نعم، أخي السائل، يجوز الكذب والخداع في الحرب وعند الوقوع في الأسر، وذلك لتضليل العدوّ، ما دام ذلك لا يشتمل على نقض عهد أو إخلال بأمان.

ومن ذلك أن يخدع القائد الأعداء، كأن يوهمهم بأنّ عدد جنوده أكثر وأكبر من العدد الحقيقيّ، وأنّ عتاده قويّ لا يقهر.

ومن الخداع أن يخدع المقاوم عند وقوعه في الأسر المحقّقين، عبر إعطائهم معلومات مضلّلة، وأن يُخفي المعلومات الحقيقيّة، وذلك حماية لعمله المجاهد وإخوانه المجاهدين وحركته ودعوته.

وفي الحديث الذي رواه البخاريّ عن جابر أنّ النبي ﷺ قال: «الحرب خدعة»، وأخرج مسلم من حديث أمّ كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنّها قالت: «لم أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، والحرب، وحديث الرجل لامرأته والمرأة لزوجها.»

أخي السائل الكريم، إنّ معركتنا في فلسطين هي معركة مع العدوّ الصهيونيّ المحتلّ، ومع أذناب أوسلو، وغراقدة التنسيق الأمنيّ المقدّس، وكلاهما عدوّ. لذلك يباح الكذب والخداع لتضليلهما، وإفشال مخططاتهما الإجرامية ضدّ الفلسطينيّين بشكل عام، وضدّ حركة المقاومة الإسلاميّة حماس بشكل خاص، لذلك اعلم أنّه يُحظر ويحرم عليك أن تنطق بحرف أو كلمة، أو أن تقوم بعمل ما قد يؤدّي إلى الضرر بالمقاومة والمجاهدين، فهم رجال الله في أرض الله، أمّا الصهاينة المحتلّون والأذناب الأوسلويّون، والغراقدة الأمنيّون، فهم زرع شيطان في أرض الرحمن. زرع يجب عليك اقتلاعه وتطهير فلسطين وقدسها وأقصاها منه.

السؤال الثاني عشر: من هو القسّاميّ؟

الجواب: إنّه الحمساويّ الذي قدّر له المولى عزّ وجلّ أن يصبح مجاهدًا قسّاميًا، فألقى الحجر في زمن الحجر، وتمنطق بالحزام النّاسف في زمن الأحزمة الناسفة، والألغام الناسفة، وأطلق بارود الرصاص من رشّاشه في زمن بارود الرصاص، وهو حافر لتراب الأنفاق، ومطلق للصواريخ. أنّه القساميّ الذي يصنع ويطلق صواريخ القسّام، التي تعدّدت أسماؤها وقويت شدّتها واتّسع شعاع مداها فما بين المقادمة M٧٥ و الرنتيسي R١٦٠ والجعبري J٨٠، هناك المزيد، وهناك ما خفي وما خفي أكبر وأعظم بحول الله وعونه وتوفيقه.

القسامي هو مجاهد يقاتل أعداء الله على كثرة عددهم وعدّتهم وشدّة أسلحتهم في الغالب، يدفعه إلى ذلك هدف واحد هو: أن ينال رضا الله تعالى سواء استشهد أم أُسر أم انتصر.

والقساميّ إذا جاهد إنّما يجاهد حاملًا بندقيّته مضطرًا، ليدافع عن نفسه وأرضه وعرضه وماله وقدسه وأقصاه، وليوجد البيئة الصالحة لاستقرار المبادئ التي يؤمن بها ويدعو إليها، ولاستمرارها من أجل صالح البشريّة.

فالقسامي لا يخطر بباله إلّا أنّه عبدٌ خاضعٌ لله، متشوّق للقاه ورضاه، مستسلم في ذلّه وخضوعه لأمره سبحانه وتعالى ونهيه، فالقسّامي ابن الحركة والجماعة يجاهد في سبيل الله ولله، وليس لهوى نفسيّ أو بلوغ منصب أو مأرب من مآرب الدنيا ومناصبها.

إنه حسن البنا وسيّد قطب ومحمّد بديع وهمام سعيد، إنه أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وسعيد صيام، إنه من حمل وأدّى الأمانة، إنه من طلب الشهادة ونالها أو ينتظر، إنّ القسامي هو حماس.. كلّ حماس، والإخوان كلّ الإخوان، إنّه صفوة هذا الزمان ونخبة الرجال وطليعة النصر، إنّه صفوة الأخيار الذين اصطفاهم الله على عينه ليضرب بهم المثل على عظمة هذا الدين، وعلى معجزة التوحيد والإخلاص والإيمان حينما تصنع شجاعة إخوانية حمساويّة قسّاميّة لا تساوم، نعم، لا تساوم، وصلابة في الحقّ لا تلين، واقتحامًا لمعاقل العدوّ الصهيونيّ (وغيره) من لجج البحر، ومن تحت الأرض وفوقها دون أن تطرف له عين.

إنّه السرّ الدفين داخلك.. إنّه برّك وعزّك ونصرك

السؤال الثالث عشر: من هو الشهيد؟ وكيف يكون حيًا وقد مات؟

الجواب: ليس كلّ مقاتل قُتل في معركة شهيدًا، بل الشهيد هو الذي يكون مقصده من القتال الجهاد في سبيل إعلاءً لكلمة الله، وقُتل في تلك المعركة فهذا هو الشهيد.

واعلم أخي السائل، أنّ المجاهدين المقاومين هم في حالة حرب دائمة ومستمرّة مع العدوّ الصهيونيّ، لذلك فإنّ حربهم في سبيل الله هي حرب المعركة المستمرّة ليلًا نهارًا، وفلسطين هي ساحة خوضهم لتلك الحرب والمعركة المتدحرجة المستمرّة.

فالمجاهد الفلسطينيّ لا يدري متى تقصفه طائرات العدوّ الصهيوني، أو متى تنفجر به عبوة ناسفة غادرة، فهو مطارد ملاحق في بيته وسيّارته ومدرسته ومسجده وفي معسكر التدريب، أي أنّه ملاحق ومطارد في كلّ مكان، مادام مجاهدًا قائمًا حقّ القيام، فتارة يقاوم ويجاهد بالكلمة الحقّ في وجه المحتلّ الظالم، وتارة أخرى يجاهد مطلقًا الحجر والرصاص والصاروخ والمدفع ضدّ المحتلّ الصهيونيّ؛ لذلك فهو في حالة صراع مستمرّ، وهو إن قُتل على هذه الحال يكون شهيدًا بإذن الله عزّ وجلّ، والله تعالى أعلى وأعلم.

أمّا فيما كيف يكون الشهيد حيًا وقد مات، فالجواب: أنّ الله عزّ وجلّ قد أخبر أنّ الشهيد يكون حيًا عند الله، فقال في الآية الكريمة: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، لا عندنا نحن، فبالنسبة إلينا صاروا أمواتًا، لكنّهم أحياء عند ربّهم حياة برزخيّة الله أعلم بها، وقال في الآية الثانية: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، أي لا تحسّون بحياتهم.

السؤال الرابع عشر: ما هي أنواع القوّة العسكرية؟

الجواب: لقد صحّ عن سيّد المجاهدين ﷺ أنّه عدّ القوة الرّمي. ففي صحيح مسلم ومسند أحمد عن عقبة بن عامر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ : « ألا إنّ القوة الرمي» ، وهذا الحديث من معجزات المصطفى ﷺ فإنّ الرمي لا يزال سيّد القوّة في ميدان الحرب، وفي كثير من الأحوال يحسم المعركة، وقد تبدّلت في أيّامنا هذه قيمة الرمي، فالرمي بالبندقية والرشاش والمدفع وقذائف الهاون والصواريخ المتنوّعة مثل صاروخ القسّام ١، ٢، ٣ ، والمقادمة M٧٥ والرنتيسي R١٦٠ والجعبري J٨٠، تلك الصواريخ التي زلزلت أمن الصهاينة المحتلّين في مختلف مناطق فلسطين المحتلّة. وهناك الصواريخ العابرة للقارّات، التي تمثّل أهمّ أنواع القوّة في عصرنا هذا.

وهنا اعلم أخي السائل الكريم، أنّه لم يرد عن الرسول ﷺ أنّ الرمي هو القوّة الوحيدة، وإنّما جعله القوّة لأنّه أقوى ما يُتقوّى به، وهذا من قبيل قوله ﷺ: «الحجّ عرفة»

ومن هنا لا شكّ بأنّ المسلمين المجاهدين مطالَبون بإيجاد آلات الرمي المتقدّمة، التي وصل إليها العلم المعاصر، فإنّ الرمي بالنبال اليوم لا يصيب الهدف المرجوّ الوصول إليه من العدوّ، ولا بدّ من مقابلته بالأسلحة المتطوّرة في مجال الرمي على اختلاف أنواعها وطرائقها. فلنعدّ ونستعدّ، وفي ذلك يقول الألوسي: «إذا لم يقاتَل الكفّار بالمثل، عمّ الداء العضال، واشتدّ الوبال والنكال، وملك البسيطة أهل الكفر والضلال.»

السؤال الخامس عشر: أميرنا، أمير الميدان والقلم، عندما قدّر الله لك أن تعتقل كنت أنا طالبًا جامعيًا أدرس مادّة العقيدة الإسلاميّة، وها أنا بعد أعوام وأعوام أحضّر رسالة الدكتوراه في مادّة العقيدة، لذلك أرجوك أميرنا الحبيب أن تطلعنا على العقيدة الإسلاميّة الي سرت على نهجها؟ وعذرًا على الإطالة في السؤال.

الجواب: أولًا: العذر منك أخي السائل لأني كنت قد طلبت من القائمين على عمليّة التواصل بيني وبينكم أن تكون الأسئلة الموجّهة لي قصيرة ومقتضبة ودسمة في آن واحد، وذلك حتّى يتمكّنوا من إيصالها لي رغم أنف أجهزة أمن الاحتلال الصهيونيّ، فعذرًا منك أنت أخي السائل الكريم، وعذرًا منكم كلّكم أخوتي السائلين الكرام على تأخري في الردّ عن أسئلتكم، والسبب في ذلك يعود إلى ذلك الاحتلال المجرم، وذلك السجّان الصهيونيّ المقيت.. عذرًا.. عذرًا.

ثانيًا: بالنسبة للعقيدة الإسلاميّة التي سرت على منهجها، فهي العقيدة القسّاميّة الجهاديّة، تلك العقيدة التي أفردتُ لها كتابًا خاصًا، حتّى أقدّمها لك أخي السائل، ولكلّ باحث عن منارة ترشده نحو العقيدة الجهاديّة الحقّة، وهنا اسمح لي أن أكتب لك بعض الومضات عن تلك العقيدة القسامية الجهادية، وإذا ما أردت الاستزادة فعليك بكتاب «العقيدة القسامية الجهادية» ذلك الكتاب الذي لا أعرف متى سيرى النور، هذا إن كان سيرى النور، فهو لا يزال حتى كتابة هذه الأوراق حبيسًا بجواري داخل هذا القبر والمعزل.

عقيدة قسّامية جهادية هي تلك التي ندعو إليها وننادي بها، كيف لا ؟!

وهي عقيدة الجهاد في سبيل الله، الجهاد ذلك الركن المتين الأصيل، الجهاد سنام الإسلام وروحه وخلاصته وسرّ قوته وعنفوانه وحيويّته، وعنوان وجوده، وهو السبيل المضمون المأمون الذي يسلكه أبناء الجماعة والحركة والكتائب سعيًا لنيل رضوان الله عزّ وجلّ.

عقيدة قسامية جهادية هي تلك التي ننادي بها، وندعو إليها، وكيف لا ؟! وحديث القرآن الكريم عن الجهاد عميق مكين، وبيان القرآن لميدان الجهاد وأساليبه وصوره ومجالاته، بيانٌ شاف.

عقيدة قسامية جهادية هي تلك التي ننادي بها، وندعو إليها، كيف لا ؟! وأحاديث الرسول ﷺ التي تقرّر حقيقة الجهاد، وتحثّ عليه وترغّب فيه كثيرة متنوّعة، كيف لا ؟! وسيرة المصطفى ﷺ هي سيرة جهاديّة، بل إنّ أصدق عنوان لهذه السيرة أنّها سيرة نبيّ مجاهد ؛ حيث كانت سيرته وحياته ﷺ كلّها جهاد في سبيل الله وقتال لأعداء الله ونشر لدعوته وتبليغ لدين الله تعالى وتبارك.

وقد ربّى الرسول ﷺ صحابته الكرام على العقيدة الحقّة، عقيدة الجهاد، فتعمّق الجهاد في حياتهم، وتجّذر في شخصيّاتهم، ولوّن حركتهم واستغرق أعمارهم، وبذلك كانوا مقاتلين مجاهدين، كانوا رهبان ليل وفرسان نهار، أشدّاء على الكفّار، رحماء بينهم.

وها هم أبناء العقيدة القسّامية يسعون بكلّ ما آتاهم الله من قوّة وعزم، لكي يستمرّ خطّ الجهاد والمقاومة عميقًا قويًا، فبالجهاد الصادق المبرور نحافظ على ذروة سنام الإسلام، وذلك حتى نتمكّن من التصدّي لأعداء الله، ودحر الصهاينة المجرمين المحتلّين من أرض فلسطين، ودحر أذناب أوسلو، وغراقدة التنسيق الأمني الأوسلوي المقدّس.

أخي القارئ، لقد اكتفيت بالإجابة عن خمسة عشر سؤالًا فقط، وذلك لأنّني لو تركت الحرّيّة لقلمي وفكري، ما توقّف عن الكتابة، ولكان هذا الكتاب قد تحوّل إلى كتاب آخر غير كتاب الشهيد الحيّ، وهنا أعدك أخي بأن أجيب عن كلّ الأسئلة التي وصلتني في أقرب وقت ممكن عبر كتاب جديد بإذن المولى عزّ وجلّ.

أمير الظلّ ... سؤال وجواب.. وفكرة.

الشهيد الحيّ وصايا ونصائح.. ومحاذير

إنّ هذه الأوراق، أوراق الشهيد الحّي وصايا ونصائح ومحاذير، هي الأوراق التي أخطّ عبرها وصيّتي، وصيّة الشهيد الحيّ إليك أنت أخي القارئ، ولكم أنتم يا أخوتي يا أبناء الجماعة والحركة والكتائب، ولكم يا أبنائي تالا وأسامة وصفاء، بل أخطّها لكلّ باحث عن وصيّة حقّ يراد بها حقّ.

إنّها أوراق وصيّة أكتبها من هناك.. من جوف القبر والمعزل المظلم الذي دفنت فيه حيًا منذ عام ٢٠٠٣، وحتى يومنا هذا الذي تطلّ به هذه الأوراق عليك.

دفنت حيًا على يد مجرمي أجهزة الأمن الصهيونية، بعد أن كنت مطاردًا من قبلها، ومن قبل أجهزة أمن غراقدة أوسلو، وأذناب التنسيق الأمني الأوسلويّ المقدّس.

أكتب لكم وصيّة المودّع الذي لا يعلم إن كان سيتمكّن من إكمال هذه الوصية، قبل أن تمتدّ إليه يد الغدر الصهيونية لتزهق روحه، بعد أن أبلت جسده في جوف هذا القبر والمعزل، وهنا أستميحك عذرًا أخي القارئ الحبيب، بأن أكتب كلّ ما جاد به عصف الفكر لديّ، فعصف فكري لاضابط له إلّا مخافة الله ورضاه.

ملاحظة مهمّة بل أكثر من مهمّة:

اسمح لي أن أهمس في أذنك أخي الحبيب هذه الملاحظة والسرّ، فبعد ثماني ساعات من الآن ستحين ساعة الصفر للبدء بتنفيذ عمليّة تهريب الأوراق، أوراق كتاب الشهيد الحيّ وغيرها من الأوراق التي تحتوي على العديد من المؤلّفات، التي كانت تنتظر منذ عدّة أشهر، ساعة الصفر حتّى تتمكّن من اجتياز هذه الأسوار السميكة والقضبان الكثيفة.

اللهمّ اعم أعين السجّانين الصهاينة عنّي وعن هذه الأوراق، حتّى تتمكّن من مغادرة جوف هذا القبر والمعزل بسلام وأمان، اللهمّ اعم أعين وأبصار أذناب أجهزة الأمن الأوسلوية الغرقديّة، أجهزةَ التنسيق الأمنيَ الأوسلوي المقدّس، عن هذه الأوراق حتّى تتمكّن من العبور بسلام وأمان من أرض فلسطين المحتلّة إلى هناك حيث (دار البرغوثي للنشر والتوزيع)، إلى هناك حيث الحرية والإعداد والاستعداد لمعركة التحرير عبر دويّ بارود الرصاص، وعبر قلم الرصاص.

الضمير الحيّ هو ذلك النبض الذي ارتبط أصحابه بالملأ الأعلى، فاستمدّوا منه العزيمة والإباء والقوة والعون. فأصحاب الضمائر الحيّة يستعذبون الشهادة في سبيل الله عزّ جلّ، وهم الساعون إلى التميّز والكمال وذلك من خلال أمور عدّة أهمّها:

١. حرصهم على طاعة الله ورسوله، وحرصهم على وحدة صفّ المسلمين، وتماسك كيانهم وتكاتف أفرادهم، وحرصهم على الإيمان الثابت الراسخ المقرون بالصبر؛ فالصبر عند أصحاب الضمائر الحيّة جزء من الإيمان اللازم لثباتهم وتمكينهم من الانتصار على أصحاب الضمائر الميّتة، من أعداء الله وأولياء الشياطين الإنسيّة والجنيّة الذين والوا عبر سلطة الفساد والإفساد الأوسلوية اليهود والصهاينة، الممسكين بزمام القوى الظاهرة، والخفيّة المستترة التي تحارب كلّ ما يمتّ للإسلام والمسلمين بصلة.

٢. اجهر بكلمة الحقّ، واعلِ صوتي في وجه كلّ جبان لاهث متخاذل خلف سراب سلام الاستسلام الأوسلوي، وافضح كل المتآمرين على مقدّساتنا وأرضنا وأعراضنا، فأنت من يعلم علم اليقين أنّ الإسلام ليس منسكًا وعبادة محصورة بين جدران المساجد والدروشة، إنّما الإسلام عقيدة وجهاد وحكم ودولة ودنيا وآخرة، فإسلامنا دين شامل لجوانب الحياة كلّها من سياسة واقتصاد واجتماع وتعليم وجهاد.. وكلّ شيء.

قال المولى عزّ وجلّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

٣. لقد برهنت الأيام أنّ الرافض الوحيد لكافّة الحلول الأوسلويّة السلمية الاستسلاميّة هم أبناء جماعة الإخوان المسلمين في العالم عامّة، وفي فلسطين خاصّة، وهم ينطلقون بذلك من فهمهم العقائدي الشرعيّ للصراع مع اليهود الصهاينة لا من منطلق سياسة أو مصلحة أو تكتيك عبثيّ كما يدّعي الغراقدة والأذناب من أوسلويّين وأعراب متأسلمين.

٤. إنّ الأنظمة العربيّة المتخاذلة والمنظّمات والأحزاب الطُّفيليّة الوصوليّة القمعيّة التي ابتعدت عن منهج الله عزّ وجلّ حكمًا وفكرًا ودستورًا ومنهجًا وسلوكًا، قد عملت عبر وسائل التأثير المختلفة؛ من فضائيّات ومناهج تعليم ودراسة ومن خلال الضغط على الشعوب وإرهابها على إيصال الشعوب العربيّة بل وحتّى الإسلامية إلى حالة من الضعف والانهزام الداخلي، ممّا مكّن تلك الأنظمة المتخاذلة والمنظّمات المتواطئة، من مطالبة شعوبنا العربيّة والإسلاميّة بالسلام مع اليهود، بل وحتّى الاعتراف بهم وبحقّ اقتطاعهم واغتصابهم لأرضنا الفلسطينية المقدّسة.

٥. لا يصحّ الصلح المؤبّد مع اليهود، لأنّ في ذلك تعطيل وإيقاف لفريضة الجهاد الماضية ليوم الدين.

٦. إنّ اليهود هم أكثر شعوب الأرض كرهًا لرسول الله ﷺ وحقدًا عليه، وحقدهم هذا تضيق به الأرض، فقد ورد في سفر (حازوحار) المطبوع باللغة الفرنسية في باريس عام ١٩٥٧، الجزء الثاني صفحة ٨٨: «يا أبناء إسرائيل اعلموا أنّنا لن نفي محمدًا حقّه من العقوبة التي يستحقها حتى لو سلقناه في قدر طافح بالأقذار وألقينا عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنه أهاننا وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعز آمالنا في الوجود، لذا يجب عليكم أن تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير»

هذه شهادة اليهود بألسنتهم؛ لذلك أوصيك أخي الحبيب ألّا تنسى أو تتناسى أنّ صراعنا مع اليهود هو صراع عقائدي، بين دين الإسلام الحقّ، وبين الدين الباطل الذي ابتدعوه وكتبوه بأيديهم الآثمة، صراعنا مع اليهود هو صراع بين الإيمان والكفر، وبين أولياء الله وأولياء الشيطان.

٧. أوصيك أخي القارئ الكريم، ألّا تنسى أنّ دولة الكيان الصهيونيّ المزعوم هي الدولة الوحيدة في العالم التي لم تحدّد لنفسها حتّى الآن حدودًا ثابتة، نعم، أخي الحبيب، لم يحدّد الصهاينة حدودًا ثابتة لكيانهم المحتلّ الغاصب لأنّهم يظنّون أنّهم قادرون على التوسّع، واحتلال المزيد من الأراضي والعواصم العربيّة؛ لكنّهم نسوا أنّ الله عزّ وجلّ قد أعزّ العرب والمسلمين بالأخوان المسلمين وبحماس والقسّام. بالقسّام الذي سوف يقصم بإذن الله تعالى وتبارك ظهر اليهود، ويبدّد حلمهم وينهي أوهامهم، فلا داعي لأن يرسم الصهاينة الحدود على الخرائط لأنّ حملة القرآن والبندقيّة والسنة النبوية، هم من سوف يرسمون الحدود على الخرائط والأرض وفي الميدان، وذلك بفضل إيمانهم بربّهم وتصديقهم لنبيّهم ولإحيائهم لفريضة الجهاد.. جهاد القسّام.. جهاد رجال القرآن والبندقيّة والسنة النبوية.

٨. إنّ سلام الاستسلام الأوسلوي بالنسبة لليهود الصهاينة ليس هو الانتصار، فهو لا يعدو كونه مرحلة انتقالية يقتلون بها نفسية الجهاد في أمّة الإسلام، ويحوّلون الشعب الفلسطيني إلى مجموعة من العبيد والخدم الغارقين في مستنقع الفساد والإفساد، مستنقع الانحلال والرذيلة، فهنيئًا لعبيد سلطة أوسلو بأسيادهم الصهاينة المحتلّين. ولعنة الله على اليهود، وعلى عبيدهم الغراقدة وأذنابهم الذين يُريدون سلامًا على مقاسهم.. سلامًا من نوع خاصّ.. سلامًا لا يمكن لأيّ شريف عفيف أن يسمّيه إلّا استسلامًا وركوعًا، وإعلانًا للقبول بعار الاستسلام والهزيمة، فسلام أوسلو هو سلام هدم المسجد الأقصى المبارك وإقامة الهيكل المزعوم.

٩. المياه الراكدة دائمًا يصيبها العفن، وهكذا العقول والمواهب إذا لم تجُد ولم تتحرّك. فلا تكن راكد العقل بل عليك أن تنمي مواهبك وقدراتك بنفسك، حتى لو لم يُطلب منك ذلك، وحتّى إن لم يكن هناك من يأخذ بيدك،

أخي الحبيب أوصيك بأن تكون عالي الثقافة، واسع المدارك، دائم الاطّلاع، جائعًا لشتّى أنواع العلوم، حتى وإن كان نزرًا يسيرًا من كلّ علم؛ مما يعينك على فهم الحياة والنّاس بثقة كبيرة، وتمكّنك من حمل البندقيّة بثبات واقتدار.

١٠. نحن اليوم نحتاج إلى نوع من التبصّر في واقعنا، ثمّ ربطه بما كان عليه حال سلفنا من المجاهدين، حتّى تتّسع مدارك عقولنا، فتجود بما ينفعنا في جهادنا ضدّ من عادانا من صهاينة وصليبيين وأذناب... وغراقدة.

١١. الاصطفاء هو الأسلوب الأوحد والأمثل لاختيار العناصر المجاهدة، فهناك عناصر من الناس لا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن يدخلوا في صفوف المقاومة، مثل الجبناء والمزاودين وغير الأنقياء أمنيًا وأخلاقيًا، وذلك أنّ الجبناء يتساقطون على الطريق، ويفرّون مذعورين عند المواجهة والالتحام، أو قد يتحوّلون إلى عملاء وجواسيس يلحقون أفدح الأضرار بالمقاومة والمقاومين، أمّا المزاودون فهم لا يتركون مجالًا للتفكير العلميّ والتخطيط الهادئ العقلانيّ الذي يقود إلى العمل الفاعل الذكيّ المنضبط، أمّا غير الأنقياء أمنيًا وأخلاقيًا حتّى لو تابوا وعادوا إلى جادة الصواب فلا مكان لهم في صفوف المجاهدين؛ فنحن لا نريد أن نبيت بين القبور، ولا أن نحلم أحلامًا مزعجة، فالمجاهد الذي يُصطفى شجاع مقدام منضبط حسن الخلق والأخلاق ظاهره كباطنه من مولده حتّى لحده.

١٢. اتّبع السنّة النبوية المطهّرة في جميع أقوالك وأفعالك وخلقك واستسلم لأحكام الدين ولا تقس الأمور بعقلك فقط، فللعقل حدّ ينتهي إليه البصر، فكن صاحب بصيرة وبصر.

١٣. كن شجاعًا ولا تجبن، فقد تعوّذ الرسول ﷺ من الجبن. وسل الله الشهادة في سبيله وإيّاك والفرار من الزحف، وجاهد بمالك ولسانك إن لم تستطع الجهاد بجسدك وبندقيّتك.

١٤. لن تنكشف الغمامة السوداء ولا الغمّة عنّا بالدّعاء فقط، بل لا بدّ أن يسبق هذا الدعاء ويصاحبه تحوّل حقيقي عن كلّ ما يغضب الله، وانتقال إلى ما يرضيه، ولا بدّ من روح جديدة تسري في كيان هذه الأمة، فتوقظها من سباتها، وتعمل على تغييرها تغييرًا جذريًا يشمل المفاهيم والتصوّرات، والسرّ والعلانية، والأقوال والأفعال، فلا بدّ أن تعود الأمّة إلى الله وتتّجه إليه، وتعمل على استرضائه وحمل لواء دعوته.

١٥. الدخول إلى عالم القرآن الكريم والسنة النبوية ودائرة تأثيرهما يحتاج منّا إلى جهد كبير ومثابرة، وخاصة في البداية حتى نستطيع تجاوز الطريقة التي اعتدنا عليها في تعاملنا مع هذا الكتاب وتلك السنة، فتلك الطريقة القديمة التي كانت تهتمّ باللفظ أكثر من المعنى يجب أن نتجاوزها للطريقة التي تهتمّ بالمعنى والعمل أكثر من اللفظ.

١٦. من سمع القرآن ولم يخشع، وذكر الذنب ولم يحزن، ورأى العبرة ولم يعتبر، وجالس العلماء والفقهاء ولم يتعلّم، وصاحب الحكماء وقرأ عن العظماء ولم تتحرّك همّته، فهو أقرب ما يكون إلى الحيوان، نعم الحيوان الذي يأكل ويشرب فقط، وإن كان إنسانًا ينطق ويتكلّم.

١٧. من القرآن الكريم استمدّ أدبك، فأدب القرآن الكريم هو أدب الحياة المجاهدة بشرف وعزّة، وهو المقاومة بتفاؤل، والبناء بسموّ، والدفاع بيأس، والهجوم بحقّ، والتعامل بحبّ، والتعاون بوفاء، إنّه أدب الابتسامة بوقار، والتنغّم باعتدال، والعزّ بتواضع، والقوّة برحمة، إنّه أدب القرآن الكريم، أدب القناعة والثورة والمسالمة بحذر، والحكم بحزم، والتعبّد بعلم، إنّه الأدب الذي أدعوك إليه، فاحمل القرآن الكريم والسنة النبوية في قلبك وعقلك، واحمل بيدك البندقية لتثور مجاهدًا مقاومًا ضد الظلم والفساد والاحتلال والإلحاد، وضدّ الفراقدة أهل الخيانة والباطل، وضدّ الصهاينة أهل الظلم والغدر والخيانة.

١٨. كلّما أعطينا للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة وقتًا أطول كان نضج الثمرة أقرب والتغيير أسرع، ودحر الصهاينة عن تراب فلسطين أمكن، ولو راجعنا السيرة النبويّة العطرة لوجدنا أنّ رسول الله ﷺ ربّى المسلمين الأوائل على مائدة القرآن وفي مدرسته ﷺ، فكانوا بمثابة الدعائم والركائز القوية التي قامت عليها دعوة الإسلام. ثمّ إنّه ﷺ آخى بينهم برباط العقيدة فصاروا القاعدة الصلبة المتماسكة التي قام عليها البناء، وقادهم إلى الجهاد دفاعًا عن دعوة الحقّ وإزالة للعقبات في طريق تبليغها للناس كافّة، وتحقّق على أيديهم نصر الله والتمكين لدينه في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده.

١٩. إنّ التفاؤل بالنصر هو مقدّمة النصر، وقوة العقيدة في كلّ أمّة هي منبع القوة المعنوية التي تدفع مجاهديها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كلّ زمان ومكان.

٢٠. إنّ العقيدة الحيّة هي الشجرة المثمرة، وما الثمرة إلّا العبادة الحقّة الناشئة عن العقيدة الحيّة، وإنّ العقيدة التي آمنت بها هي تلك التي تربط وبقوّة بين الإيمان بالله وبين تحكيم آياته وسنّة رسوله، في حياة المؤمنين وما يعرض لهم من قضايا. قال المولى عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥).

٢١. لقد باع العاملون تحت إمرة أذناب أوسلو وغراقدة التنسيق الأمني المقدّس، شرفهم وسمعتهم وكرامتهم، لقاء منصب تفضّل به عليهم أذناب أوسلو وغراقدة اليهود، (وبنت الهوى) هنا أفضل منهم حالًا في بعض الحالات، فمنهنّ من يُلجئهنّ الجوع والحاجة الماسّة لبيع شرفهنّ، أمّا هؤلاء فيلجئهم التهالك على حطام الدنيا الزائل والجاه والمنصب الزائل إلى التفريط بشرفهم وشرف فلسطين والقدس والأقصى وحقوق أمّتهم وشعبهم.

٢٢. الحذر كلّ الحذر من كلّ ملحد ينكر وجود الله تعالى وتبارك، ومن كلّ متسلّط لم يصل لسلطته إلّا بالغدر والجريمة والخيانة، ومن كلّ مغمور نشأ في بيئة فاسدة ثمّ ساعدته الظروف على الظهور، واحذر من كلّ مغرور حاقد متعطّش لسفك الدّماء، ومن كلّ كذّاب منافق أوصله كذبه ونفاقه إلى الشهرة والمجد، احذر كلّ الحذر من غراقدة أوسلو، ومن أذناب التنسيق الأمني الأوسلوي المقدّس، فهم صنيعة الغدر والخيانة والعمالة، وصنيعة الصهاينة المحتلين لأرضك وقدسك وأقصاك، وصنيعة الصليبيين المنحلين والمنحرفين، احذر.. كلّ الحذر.

٢٣. الغراقدة! مجرمون احذرهم وقاتلهم.

٢٤. الأذناب ! مجرمون احذرهم وقاتلهم.

٢٥. اليهود المحتلّون! مجرمون احذرهم وقاتلهم.

٢٦. الصهاينة! حالهم كحال اليهود مجرمين احذرهم.

٢٧. الأعراب المنافقون! احذرهم وتصدَّ لهم.

٢٨. المرجفون! احذرهم وتصدَّ لهم.

٢٩..... ٣٠.....٣١.....

٣٢.....٣٣.....٣٤.....

عذرًا منك عزيزي القارئ فما عاد لديّ متّسع من الوقت حتّى أواصل كتابة وصيّتي ووصاياي، فقد آن الأوان ليتوقّف قلمي عن الكتابة، حتى أفسح المجال لأوراقي هذه لترى النور وتغادر قبري ومعزلي.

الخاتمة... مسك الختام

ما زلت أبحث عن من يجيبني على سؤالي أنا، أحيٌّ أنا أم ميّت داخل زنزانة قبر العزل الانفرادي؟

نعم، أشهيدٌ حيٌّ أنا؟ أم أنّني أحيا كالشهداء مع وقف التنفيذ؟! من داخل جوف قبري ومعزلي كتبت وكتبت متسائلًا عن مصيري بعد أعوام كثيرة على تلك التي تحرّر عبرها العديد من الأسرى، وأصبحوا أحرارًا أحياء!

والله إنّي ما عدت ألمس للحياة مظاهر هنا، فأنا مجرّد جسد مكبّل ومدفون، جسد ترفض روحي مغادرته، مصرّة هي الأخرى على البقاء مكبّلة فيه، وذلك أمر محيّر مقلق، ومستفزّ وجدّ خطير.

أصحيح أنّ للموت سكرات تصاحبه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت، وإن كان هذا صحيحًا فبأي مراحل السكرات تلك أنا؟

هل صحيح أنّ رجال القسّام بدؤوا كسر القفل الذي أقفله الصهاينة عليّ عندما زجّوا بي في هذا القبر والمعزل؟

أصحيح أنّ رجال القسّام قد حطّموا الجدران الكثيفة والقضبان السميكة، أم أنهم حطّموا الجدران السميكة والقضبان الكثيفة، أم أنهم حطّموا الجدران الكثيفة والقضبان السميكة؟! والله إنّي ما عدتُ أدري أو أعلم فعلم ذلك عند الله عالم الغيب والشهادة.

إنّ ظلمة هذا القبر وظلم السجّان الصهيونيّ، قد مكّنا عنكبوت الموت من نشر خيوط شبكته التي بدأت تحيط بي وتحاصرني، ناشرة في الأجواء شرّها وسمومها التي تفوح منها رائحة الموت.

يا نملة الحكمة اعلمي أنّي ما عدتُ صاحب الجسد القويّ القويم، وما عدتُ القويّ العنيد، وما عدتُ قادرًا على إجبار قدميّ على حملي من شدّة الألم والجوع والبرد، أوتعلمين يا نملتي الحكيمة أنّ البرد قد سكن ركام وحطام عظامي؟! وأنّ الدماء قد جفّت في شراييني، قولي بربّك هل تريني؟!

متعبٌ أنا يا نملتي، متعب الجسد والروح والمعنوية، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الصهاينة الظالمون المدى، ونهجوا نهج فرعون وهامان وجنودهما. والله يانملتي، إنّ الصهاينة قد استنّوا بسنّة عاد قوم هود، الذين استكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا: من أشدّ منّا قوّة؟! ومن أعزّ منّا منعة؟! ومن أكثر منّا مالاً أو سلاحًا أو عتادًا؟! أأنت يا كومة العظام والحطام؟! أأنت يا شهيدًا مع وقف التنفيذ؟! قل أأنت؟!

نعم، قالتها النملة بصوتٍ مدوٍّ، نعم أنت، ألست أنت أمير الظلّ؟! ألست أنت ابن حماس والإخوان والقسّام؟! أليس الكلّ للواحد، والواحد للكل ما دام الواحد والكلّ يجاهدون ويقاومون؟!

فأنت ابن للجماعة، والجماعة أبٌ لك، فلا تحزن ولا تيئس من رحمة الله ونصره، قم ياعبدالله، قم لتصلّي الضحى، فقد طلعت الشمس، نعم لقد طلعت ومنذ مدّة، صحيح أنّك غير قادر على رؤيتها إلّا أنّها طلعت، طلعت وسطع نورها، تمامًا كما سيسطع نور الإسلام من جديد على يد الجماعة جماعة التجديد، قم، انفض ألم جسدك، انفض غبار الألم، قم يا ابن العقيدة القسّامية التي تنبع من جوف الروح وتسطع من صميم القلب، قم..قم، فإن عشت فللحقّ، وإن متّ ففي سبيل الحقّ، أنسيت أنّ الذهب لا يصدأ أبدًا، وأنّ النيران لا تزيده إلّا جلاءً وبهاءً، قم للصلاة لعلّ الله يحيي عظامك، أوليس هو الذي يحيي العظام وهي رميم؟!

قم بالله عليك، قم... فهنيئًا لك.. هنيئًا لمن أوذي في سبيل الله، ثمّ جاهد وصبر، وتبًا لمن آذى المؤمن وجعله عبرة لمن اعتبر.

قم وحوّل قبرك لمسجد للصلاة والدعاء والابتهال والكتابة.. قم لله يا عبدالله.

قم فالقسّام قادم ليحطّم الأغلال والقيود، قم فالقسّام قادم ليفي بالعهود والوعود.

الشهيد الحيّ

عبدالله غالب البرغوثي

تم بحمد الله

كلنا مع الأسير الأسد عبد الله البرغوثي

دار البرغوثي للنشر والتوزيع

daralbargouthi@gmail.com

الموقع الالكتروني

http://daralbargouthi.com